View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

OPEN ACCESS
Submitted: 1 January 2019
Accepted: 22 April 2020

من وَسائِلِ السَّبْكِ النحويِّ في دالية المعرّي (غَيْرُ مُجْدٍ)

مأمون تيسير مباركة

أستاذ النحو والصرف المساعد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

mamon.mobarakeh@najah.edu

ملخص

يُعدُّ نحوُ النصِّ أَحدَ الدراساتِ النقديّةِ الحديثةِ التي أحدثتْ ثورةً في الدراساتِ النقدية، وتمثلُ وسائلُ السبكِ النحويَّةُ إحدى الأعمدةِ المعياريةِ التي ينبني عليها هذا النوعُ من الدراساتِ النقديةِ الحديثةِ. وَينظرُ البحثُ في مدى نجاعةِ هذهِ الوسائلِ في البناءِ الشعريِّ عندَ أبي العلاءِ المعرّي. وَيدرسُ مقدار الانسِجامِ النصيِّ الذي أحدثهُ في قصيدَتِهِ الداليّةِ، كما يبحثُ في الأثر الذي يُمكنُ أنْ تُحدِثَهُ في تماسُكِ البناءِ الشعريِّ. ويسعى البحثُ إلى تحقيقِ ذلكَ من خلالِ إيضاحِ مفهومِ هذهِ الوسائلِ وتطبيقاتها وتمثلاتِها في البناءِ السبكيِّ العامِّ في هذهِ القَصيدةِ، ثُمَّ يُظهرُ البحثُ الرابطَ النَسقيَّ بينَ فكرِ المعرّي الإنسانيِّ ونظرتهِ للحياةِ والوجودِ، وبينَ البِناءِ النصّيِ والتأليفيِّ في القصيدةِ بمكوِّناتِها اللغويّةِ والتركيبيّةِ؛ لإظهارِ مقدارِ تحققِ عناصرِ النصيّةِ السبكيّةِ النحويّةِ فيها، وللحكمِ على قدرةِ المعرّي على إيصالِ رِسالتهِ الإنسانيّةِ لمتلقيهِ عبرَ هذهِ القَصيدةِ التي أرادَ الشاعرُ فيها رِثاءَ أبي حمزةَ الفقيهِ؛ فَرثى فيها البشريَّةَ جمعاءَ، بل رثى الحياةَ بِرُمّتها.

الكلمات المفتاحية: المعرّي، النص، السبك، الإحالة، أدوات الرّبط، التحديد

للاقتباس: مباركة، مأمون. «من وَسائِلِ السَّبْكِ النحويِّ في دالية المعرّي (غَيْرُ مُجْدٍ)»، مجلة أنساق، المجلد 3، العدد 2، 2019

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2019.0101

© 2020، مباركة، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

OPEN ACCESS
Submitted: 1 January 2019
Accepted: 22 April 2020

Some of Cohesion tools in Al-Maari poetry (ghair mojden)

Mamoun Mbarkah
Assistant Professor of Grammar and Morphology, An-Najah National University, Nablus, Palestine
mamon.mobarakeh@najah.edu

Abstract

Drawing on modern revolutioning critical studies, the focus of this paper is on the cohesion characteristic in the poetic structure of Abi Al-Alla Al-Maari's "Al-Naseem" poem. More specifically, this study examines the extent of efficacy of such means by discussing the concept of "cohesion", its linguistic means, its applications and its representation in the general casting structure of this poem. The study illustrates the coordination link between the thought of Al-Maari and its life and existence aproach, and between the textual, grammatical and narrative structure. Eventually, the paper makes a case for Maari's ability to communicate his human message to his recipients through this poem, whereby the poet provided the lamentation of Abu Hamza al-Faqih. He lamented all of humanity, but rather the whole of life.

Keywords: Maari, Text cohesion; Reference; Junction; Definiteness

للاقتباس: مباركة، مأمون. «من وَسائِلِ السَّبْكِ النحويِّ في دالية المعرّي (غَيْرُ مُجْدٍ)»، مجلة أنساق، المجلد 3، العدد 2، 2019

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2019.0101

© 2020، مباركة، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

المقدمة

يُمَثِّلُ شعرُ المعريِّ علامةً فارقةً في الأدبِ العربيِّ عَلى امتدادِ تاريخِهِ؛ ذلكَ لِما يتميَّزُ بِهِ المعريُّ – شاعرًا وإنسانًا – منْ صِفاتٍ شخصيَّةٍ وفكريَّةٍ تَعكِسُ عُمقًا تأمُّليًّا لافِتًا في النظرةِ إلى الحياةِ وفلسفةِ الوُجودِ، وتُمَثِّلُ قصيدةُ (غَيرُ مُجدٍ) تجلِّيًا شاخِصًا لهذهِ النظرةِ المتفرِّدةِ إلى مفهومِ الحَياةِ والفَناءِ وجدوى تَضارُبِ المشاعرِ الإنسانيَّةِ تُجاهَ مُجرياتِ الأحداثِ سُرورًا أو حُزنًا، رِضًا أو سخطًا، أمَلًا أو يأسًا؛ وهذا ما حَدا بالباحثِ إلى أنْ يَغوصَ في أعماقِ هذهِ النظرةِ الفلسفيَّةِ العميقةِ عبرَ دِراسَةٍ ألسُنيَّةٍ تُمَثِّلُ مُنطلقًا مِثاليًّا لِرسمِ تَصوُّرٍ كُلِّيٍّ لحقيقةِ موقِفِ الشاعرِ منَ الحياةِ والوُجودِ؛ عبرَ رَصدِ وَسائِلِ السبكِ النحويَّةِ التي تنتظمُ بناءَ هذهِ القَصيدةِ، وتُنبِئُ بِمكنونات الشاعرِ الفكريَّةِ والموقفيَّةِ التي انعكسَت في هذا البناءِ السَّبكيِّ للقَصيدةِ.

وَفي سَبيلِ ذلكَ تَسعى الدِّراسَةُ إلى الإجابةِ عَنِ التَّساؤلاتِ الآتيَةِ: ما أَبرزُ ملامِحِ التَّماسُكِ النَّصيِّ النحويِّ في هذهِ القَصيدةِ؟ وما أهمُّ مُكوِّناتِهِ التركيبيَّةِ؟ وَما أثرُ هذا التَّماسُكِ بِوسائِلِهِ النحويَّةِ في بِناءِ الموقِفِ الشِّعريِّ الكامِلِ للشاعرِ في قَصيدتِهِ؟

وَقَدْ تناولَ غيرُ باحثٍ شعرَ أبي العلاءِ المعريِّ بالدرسِ والتحليلِ، غيرَ أنَّ الباحثَ لم يعثر على دراساتٍ نصيَّةٍ تُوجِّهُ الاهتمامَ إلى قصيدةِ (غيرُ مُجدٍ)، لكنَّ بعضَ الدِراساتِ كانتْ مُعينًا للباحثِ في الوُلوجِ إلى فِكرِ المعريِّ وإدراكِ موقفِهِ الشعريِّ، ومِن هذه الدراساتِ:

1. التَّناصُّ ودلالتُهُ في شعرِ أبي العلاءِ، لمريم الشنقيطي.
2. التناصُّ بينَ الرؤيةِ والتطبيقِ: مرثيَّةُ المعرّي أنموذجًا، لإبراهيم الدهون.
3. الشاعر ناقدًا: المعري وابن الخطيب أنموذجًا، لفاروق اسليم.
4. التجربة الشعرية عند أبي العلاء المعري، لنعيمة سَمهود.
5. المعرّي إمام الحائرين: مراوغات النص وتأويلات القراءة، لحاتم الصكر.

وقدِ اتَّبع الباحثُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ؛ عبرَ رصدِ أهمِّ وسائِلِ السبكِ النحويَّةِ، ثمَّ توصيفِ وُرودِها في النصِّ، وتحليلِ دورِها في تحقيقِ التَّماسُكِ النصيِّ.

النَّصُّ لُغَةً:

تَدورُ دلالَةُ دِلالة الجَذْرِ (نَصَّ) في العَرَبيةِ حَوْلَ مَعْنى الإِظْهَارِ والاسْتِخْراجِ والاسْتِقْصاءِ والرَّفْعِ. جاءَ في اللِّسانِ حَوْلَ مَعْنى الرَّفْعِ والإِظْهارِ: «النَّصُّ: رفْعُكَ الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَديثَ يَنُصُّهُ نَصًّا: رفَعَهُ. وَكُلُّ ما أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ» (ابن منظور 97).

وَجاءَ في الْمُحْكَم حَوْلَ مَعْنى الاسْتِقصاءِ وَبُلوغِ غايَةِ الشَّيْءِ: «ونصَّ الرَّجُلَ نَصًّا إذا سألَهُ عَنِ الشَّيْءِ حَتى يَسْتَقْصيَ ما عِنْدَه. ونَصُّ كلِّ شَيْءٍ مُنْتَهاهُ»(ابن سيده 272).

في حينِ ذَهَبَ الزَّبيديُّ إِلى مَعْنى اسْتِخْراجِ خُلاصَةِ الشَّيْءِ وَمُنْتَهاهُ بِقَوْلِهِ: «نَصَّ ناقَتَهُ يَنُصُّها نَصًّا: إِذا اسْتَخْرَجَ أَقْصى ما عِنْدَها من السَّيْرِ» (الزبيدي 178).

وَعَلَيْهِ فَلَنا أَنْ نَتَلَمَّسَ خَيْطًا يَنْتَظِمُ دَلالاتِ الجَذْرِ (نَصَّ) في سياقاتِهِ المُخْتَلِفَةِ في العَرَبيةِ، يَدورُ حَوْلَ إِظْهارِ الشَّيْءِ واسْتِخْراجِ كُنْهِهِ وَمَكْنونِهِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ طَبيعَةِ هَذا الإِظْهارِ حَقيقيًّا كانَ أَمْ مَجازيًّا.

وإِذا بَحَثْنا في المَعْنى اللُّغَويِّ لكلمةِ (النَّصِّ) في اللُّغَةِ اللاتينيةِ الَّتي كانتْ مُنْطَلَقًا لِمَفْهومِ النَّصِّ في الدِّراساتِ الغَرْبيةِ الحَديثَةِ؛ وَجَدْنا مَعْناها اللُّغَويَّ يُعْطي اتِّجاهًا دَلاليا آخَرَ يَتَمَثَّلُ في إِضْفاءِ مَعْنى التَّماسُكِ والتآلُفِ؛ فأَصْلُ مَعْنى النَّصِّ (Textus) في اللاتينيةِ: النَّسيجُ، أَوْ أَسْياجٌ مُضَفَّرَةٌ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الفِعْلِ اللاتيني (Texere) وَيَعْني نَسَجَ، أَوْ جَدَلَتْ شَعْرَها (هاينه وفهفنجر 4)، وَيَمْنَحُ هَذا المَعْنى اللُّغَويُّ إِلى جانِبِ المَعْنى اللُّغَويِّ العَرَبي دَلالَةً أَكْثَرَ شُمولًا لِمَفْهومِ النَّصِّ في الاصْطِلاحِ.

النّصُّ في الاصْطِلاحِ:

اسْتِنادًا إِلى المَعْنى اللُّغَوي لِلنَّصِّ يَرى الباحِثُ أَنَّ هُناكَ رابِطًا قَويا بيْنَ المَعْنَيَيْنِ: اللُّغَوي، والاصْطِلاحي؛ فقدْ عرَّفَ (دي بوجراند) النصَّ بِأَنَّهُ: «تشكيلةٌ لغويَّةٌ ذاتُ معنًى، تستهدفُ الاتِّصالَ، وَيُضافُ إِلى ذلكَ ضَرورةُ صدورِهِ (أي النصّ) عَنْ مُشارِكٍ واحدٍ ضمنَ حدودٍ زمنيَّةٍ معيَّنةٍ، وليسَ منَ الضَّروريِّ أَنْ يَتألفَ النصُّ منَ الجملِ وحدَها؛ فقد يتكونُ النصُّ منْ جملٍ، أَوْ كلماتٍ مفردةٍ، أو أيةِ مجموعاتٍ لغويَّةٍ تحقِّقُ أهدافَ الاتِّصالِ» (أبو غزالة وحمد 9).

وَيعرِّفه سعيد مصلوح بِأَنَّهُ: «نمطٌ من التحليلِ، ذو وسائلَ بحثيةٍ مركّبةٍ، تمتدُّ قدرتُها التشخيصيةُ إِلى مستوى ما وراءَ الجملةِ، بالإِضافةِ إِلى فحصِها لعُلاقةِ المكوّناتِ التركيبيةِ داخلَ الجملةِ (Intra Sentential Constituents)، وتشمل علاقاتُ ما وراءَ الجملةِ مستوياتٍ ذاتَ طابعٍ تدرّجيٍّ، يبدأُ منْ علاقاتِ ما بينَ الجملِ (Intersentential Relations)، ثمّ الفقرة (Paragraph)، ثمّ النص (Text) (أو الخطاب Discourse) بتمامه» (مصلوح 407).

وَفي هذهِ التعريفاتِ تتَّضحُ ملامِحُ نحوِ النصِّ وَعلاقةُ المعنى المعجميِّ (النسيج) بالمعنى الاصطلاحيِّ؛ فالدراسةُ النصيَّةُ تنظرُ إِلى النصِّ بوصفهِ وحدةً لغويَّةً توصيليَّةً متكاملةً متضافرةَ الأركانِ. وَقَدْ ربطَ عَبْدُ المَلِكِ مُرْتاضٌ بَيْنَ المَعْنى المُعْجَميِّ اللاتينيِّ (النَّسيج) والمَعْنى المُصْطَلَحيِّ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ مَدْلولَ النَّسْجِ في اللُّغاتِ الأوروبيةِ انْطِلاقًا مِنْ أُمِّهِنَّ اللاتينيةِ قَدْ يَكونُ أَكْثَرَ مُلاءَمَةً لِلدَّلالَةِ عَلى مَعْنى النَّصِّ وَحَرَكَتِهِ المادية، وَعَطائِهِ السَّخي؛ وإِنَّ نَسْجَ حَرْفٍ بِإِزاءِ حَرْفٍ، وَلَفْظٍ حِذاءَ لَفْظٍ، وَجُمْلَةٍ بِجانِبِ جُمْلَةٍ، ثُمَّ فَقْرَةٍ وَراءَ فَقْرَةٍ؛ حَتى يَقومَ نَصٌّ ما مِنَ الكِتابَةِ، لَهو ما يُشَكِّلُ صَميمَ عَمَليةِ النَّسْجِ الَّتي تَقومُ عَلى تَرْكيبِ خَيْطٍ عَلى خَيْطٍ لِلَحْمِ ما طالَ مِنَ السَّدى[1]؛ حَتى يَقومَ ثَوْبًا مَنْسوجًا، أَي: نَصًّا مَنْصوصًا» (مرتاض 50).

وَلَعَلَّ مَعْنى إِظْهارِ بُغْيَةِ الكَلامِ، والإِفْصاحِ عَنْ مَقْصودِ القِطْعَةِ اللُّغَويةِ المُتَآلِفَةِ هو ما لَفَتَ إِلَيْهِ الشَّريفُ

1 - السَّدى (بفتح السين): خِلافُ لُحْمة الثَّوْبِ، وَقِيلَ: أَسفله، وَقِيلَ: مَا مُدَّ مِنْهُ، وَاحِدَتُهُ سَداةٌ (ابن منظور، سدا)

الجُرْجاني في تَعْريفِهِ النَّصَّ بِقَوْلِهِ:»النَّصُّ ما ازْدادَ وُضوحًا عَلى الظاهِرِ لِمَعْنًى في المُتَكَلِّمِ، وَهو سَوْقُ الكَلامِ لِأَجْلِ ذَلِكَ المَعْنى؛ فإذا قيلَ: أَحْسِنوا إلى فُلانٍ الَّذي يَفْرَحُ بِفَرَحي، وَيَغْتَمُّ بِغَمي؛ كانَ نَصًّا في بَيانِ مَحَبَّتِهِ» (الجرجاني 241)، وَهَذا التَّعْريفُ وإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطابِقًا تَمامًا لِمَفْهومِ النَّصِّ في الدَّرْسِ الحَديثِ فإِنَّهُ يَتَقاطَعُ مَعَهُ في كَثيرٍ مِنْ جَوانِبِهِ، وَيَتَّضِحُ هَذا التَّقاطُعُ بِشَكْلٍ جَلي في تَعريفِ هَاليداي وَرُقَيَّة حَسَن للنَّصِّ، وَقَدْ رأيا أَنَّ:» النَّصَّ في الدِّراساتِ اللُّغَويةِ يُسْتَعْمَلُ لِلدَّلالَةِ عَلى أَيَّةِ فَقْرَةٍ، مَكتوبَةٍ أَوْ مَنْطوقَةٍ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ طولِها، فَيَكونُ النَّصُّ بِكُلِّيَّتِهِ وَحْدَةً مُتكامِلَةً مُتَرابِطَةً» (Halliday and Hassan 10).

وَعَلَيْهِ؛ يَنْظُرُ علماءُ النَّصِّيَّةِ إلى النَّصِّ بِوَصْفِهِ وَحْدَةً لُغَويةً مُتكامِلَةً وَمُتَضامَّةً ومتآلفةً فيما بَيْنَها، وَيَرونَ أَنَّ النَّصَّ يُشَكِّلُ - في مَجموعِهِ المُتآلِفِ المُتَرابِطِ - أَكْبَرَ وَحْدَةٍ لُغَويةٍ مُمْكِنَةٍ، أُلِّفَتْ في مُحَدِّداتٍ زَمانيةٍ وَمَكانيةٍ فَرَضَتْ نَفْسَهاعَلى مُنْشِئِ النصِّ، أَوْ هو فَرَضَهاعَلى نَصِّهِ لِغَرَضٍ في نَفْسِهِ؛ فَتَضافَرَتْ مُكَوِّناتُها اللُّغَويةُ - الَّتي تَشَكِّلُ الجُمْلَةُ مُكَوِّنًا رَئيسًا فيهَا - لِتَكْوينِ تَصَوُّرٍ دَلالي كُلي شامِلٍ مِنْ أَجْلِهِ أُنْشِئَ النَّصُّ أَساسًا. وَفي النَّصِّ تَخْتَلِفُ أَشْكالُ البِنى اللُّغَويةِ المُكَوِّنَةِ لَهُ ما بَيْنَ جُمَلٍ طَويلَةٍ وَقَصيرَةٍ، وَبينَ تَقْديمٍ وتأخيرٍ، وَحَذْفٍ وَتَكْرارٍ... إلخ، غَيْرَ أَنَّ هذا الاخْتِلافَ في حَقيقَتِهِ إِنَّما فَرَضَهُ اتِّجاهٌ قَصْدي يَصُبُّ في إِطارِ تَعْضيدِ الفِكْرَةِ الكُليةِ الَّتي مِنْ أَجْلِها أُنْشِئَ النَّصُّ أَساسًا (واورزنياك 53).

مَعاييرُ النَصِّيَّةِ في نحوِ النصّ:

يَنْظُرُ عُلَماءُ النصّيّةِ إلى النَّصِّ بِوَصْفِهِ وِحْدَةً مُتكامِلَةً مُكَوَّنَةً مِنَ الأَجْزاءِ المُترابِطَةِ التي تَنْتَظِمُ في سَبْكِهِ اللُّغَوي، وَفي سياقِهِ الدَّلالي، وَفي إِطارِهِ التَّواصُلي، وَيرى النَّصّيّونَ أَنَّ هَذِهِ الجُزْئِياتِ اللُّغَويةَ والتَّرْكيبيةَ تَتَرابَطُ فيما بَيْنَها بِانْسِجامٍ عَلاقي مُتكامِلٍ؛ لِتُشَكِّلَ في كُليتِها ذَلِكَ المَغْزى الدَّلاليَّ التَّواصُليَّ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ أُنْشِئَ النَّصُّ أَساسًا، وَبِهِ يُمْكِنُ لِلنَّصِّ أَنْ يَتَّسِمَ بِالاسْتِمراريةِ والدَّيمومَةِ؛ فَيُمْكِنُ للنَّصِّ - بِتَضافُرِ كُلِّ هَذِهِ العَناصِرِ - أَنْ يَتَّصِفَ بِالتَّماسُكِ والتَّرابُطِ، وَقَدْ حاوَلَ عُلَماءُ اللُّغَةِ المُحْدَثونَ أَنْ يَضَعوا أُسُسًا وَمُنْطَلَقاتٍ تُعينُ في تَحْليلِ النَّصِّ بِوَصْفِهِ كُلًّا جامِعًا مُتَرابِطًا، يُسْهِمُ كُلُّ عُنْصُرٍ فيهِ في تَشْكيلِ المَعْنى الدَّلالي التَّواصُلي العامِّ الَّذي أُنْشِئَ مِنْ أَجْلِهِ، ويُمكنُ تَقْسيمُ مَعاييرِ النَّصيةِ (Textuality) بِحسبِ ما رآها (دي بوجراند) على النحو الآتي (دي بوجراند 104):

1. **السَّبْكُ أَوِ الرَّبْطُ النَّحويُّ (Cohesion)**: وَيَعني إِيجادَ التَّرابُطِ الحاصِلِ بَيْنَ المُكَوِّناتِ السَّطْحيةِ (Surface) لِبِنْيَةِ النَّصِّ؛ فَيَعْتَمِدُ تَكْوينُ النَّصِّ عَلى تَرابُطٍ رَصْفي (Seqwential Connectivity) بَيْنَ عَناصِرِهِ السَّطْحيةِ؛ فَيُؤدي السابِقُ مِنها إِلى اللاحِقِ (Progressive Occurrance). وَهذا السبكُ أَوِ الرَّبْطُ النَّحْوي يَشتَمِلُ عَلى عَناصِرَ وَمُحَدِّداتٍ تُمَكِّنُ مِنْ تَكْوينِ بِناءٍ نَحْوي مُترابِطٍ وَمُتَضامٍّ؛ مِنها ما هوَ نَحْويٌّ: كالمُرَكَّباتِ (Phrases)، والتراكيبِ (Clauses)، والجُمَل. ومنها ما هو أُسلوبيٌّ: كالتكرارِ، والألفاظِ الكِنائِيَّةِ (Pro-forms)، والأدواتِ، والإِحالَةِ المشتركةِ (Co-reference)، والحذف، والرَّوابط (Junctions).

وَيَبْحَثُ السَّبْكُ في تَوظيفِ العَناصِرِ النَّحْويةِ تَوظيفًا أُسلوبيا يَخْدِمُ التَّكوينَ العامَّ للنَّصِّ، كما يَخْدِمُ الوَظيفَةَ الَّتي يَضطَلِعُ بِها النَّصُّ، والَّتي مِنْ أَجْلِها أُنْشِئَ، وَيُقَدِّمُ السَّبْكُ مُقاربةً نحويَّةً بُغْيَتُها الرَّبْطُ بَيْنَ العَلاماتِ اللغويَّةِ

والعلاقاتِ القائِمَةِ بَيْنَها؛ بَحْثًا عَنْ إِعْطاءِ قَواعِدَ للتَّعبيراتِ الْمُكَوَّنَةِ تَكْوينًا جيِّدًا، وَتَقديمِ قواعدَ لتحويلِ التَّعبيراتِ إِلى تَعبيراتٍ أُخَرَ (أبو غزالة وحمد 25).

وَعُمومًا يُفيدُ السَّبْكُ في اختِصارِ النَّصِّ وإِيجازِهِ، فَتُعطي كَلِماتٌ قَليلَةٌ مَعانيَ وَمعلوماتٍ كَثيرةً اخْتُصِرَتْ واكْتُفيَ بِإِحالَةِ تلكَ الكلماتِ القليلةِ إِلى تلك الحقائقِ والمعلومات الكثيرةِ والإِشارةِ إِلَيها. كما أَنَّ السَّبْكَ يولِّدُ شُعورًا بِأَنَّ النَّصَّ كُلَّهُ جُمْلَةٌ واحدةٌ تُؤدي غرضًا كُليا جامِعًا، وَيَحْدثُ ذلكَ من خلالِ التَّماسُكِ والتَّرابُطِ الشَّديدَيْنِ اللَّذينِ يُحْدثهما السَّبْكُ بَيْنَ أَجْزاءِ النَّصِّ، وَهذا التَّماسُكُ بِدَوْرِهِ يُؤَدي إِلى الفَهْمِ الصَّحيحِ للمُفرداتِ؛ لِأَنَّ المَعْنى المُعْجَمي للمُفْرَدَةِ يَتَشَكَّلُ بِشَكْلٍ خاصٍّ عَبْرَ وُرودِ هذهِ المفردةِ في سياقٍ ما، وَهذا يَخْتَلِفُ مِنْ سياقٍ لِآخَرَ، والسَّبْكُ هو الَّذي يُظهِرُ المَعْنى المُخْتَلِفَ للمُفْرَدَةِ المُعْجَمِيةِ في سياقِها. والنَّصُّ في قيمَتِهِ الحُكْميةِ يُفَرِّقُ بَينَ ما هو نَصٌّ وَما هو غَيْرُ نَصٍّ؛ وَذَلِكَ بِما يُحْدِثُهُ السَّبكُ مِنْ رَبْطٍ وانْسِجامٍ بَيْنَ الجُمَلِ المُتتالِيةِ المُتابِعَةِ في النَّصِّ قَيْدِ الدِّراسَةِ (عبد العال 32).

2. **الحبكُ أَوِ الالتِحامُ أَوِ التَّماسُكُ الدَّلالي (Coherence)**: وَيَقومُ أَساسًا عَلى قَضيةِ المَعْنى، وَما يَقَعُ بَيْنَ أَجْزاءِ النصِّ وَمُكَوِّناتِهِ مِنَ انْسِجامٍ دَلالي بَيْنَ العَناصِرِ المَعْرِفيةِ التي يَقومُ عَلَيْها النَّصُّ؛ ما يوجِدُ تَرابُطًا مَفهوميًّا (Conceptual Connectivity).

3. **القَصْدُ أَوِ المَقْصِديةُ (Intentiality)**: وَيَقومُ أَساسًا عَلى هَدَفِ مُنْشِئِ النَّصِّ، وغايَتِهِ التي يَسْعى لِتَحقيقِها أَوِ الوُصولِ إِلَيْها عَبْرَ إِنْشائِهِ النَّصَّ، وَعَلَيْهِ يَقْصِدُ مُنْشِئُ النَّصِّ أَنْ تكونَ صورَةٌ ما مِنْ صورِ اللُّغَةِ (نَصُّ المؤلِّفِ مَوْضِعُ الدِّراسَةِ) نَصًّا مَسْبوكًا مَحْبوكًا هَدَفُ نَشْأَتِهِ وإِتْقانِ سَبْكِهِ وَحَبْكِهِ أَنْ يَكونَ النَّصُّ وَسيلَةً (Instrument) للتوصُّلِ إِلى غايَةٍ مَقْصِديةٍ بِعَيْنِها.

4. **القَبولُ أَوِ المَقْبولِيةُ (Accebtability)**: وَيَتَعَلَّقُ بِموقِفِ مُسْتَقْبِلِ النَّصِّ، وَمَدى قَبولِهِ بِكَوْنِ النَّصِّ صورَةً لُغَويةً ذاتَ سَبْكٍ وَحَبْكٍ وَغايَةٍ تَجْعَلُ مِنَ النَّصِّ ذا فائِدَةٍ وَغايَةٍ مَقْبولَةٍ عِنْدَ مُسْتَقْبِلِ النَّصِّ.

5. **رِعايَةُ المَوْقِفِ أَوِ المَوْقِفيةُ (Situationality)**: وَيَتَعَلَّقُ هَذا المِعْيارُ بِالمَوْقِفِ الَّذي نَشأ النَّصُّ في إِطارِهِ، وَبِالجَوِّ الاتِّصالي العامِّ الذي دَفَعَ إِلى نَشْأَةِ النَّصِّ وَتَكْوينِهِ؛ ليشَكِّلَ النَّصُّ بِمُتَعَلِّقاتِهِ وَظُروفِ نَشْأَتِهِ مَوْقِفًا اتِّصاليا يَسْتَلْزِمُ بِالضَّرورَةِ وُجودَ طَرَفَيْ اتِّصالٍ: المُرْسِلِ والمُسْتَقْبِلِ عَلى الأَقَلِّ، وقدْ لا يَدْخُلانِ بِالضَّرورَةِ في بُؤْرَةِ الانتِباهِ بِوَصْفِهِما شَخْصَيْنِ.

6. **الإِعلاميةُ أَوِ الإِبلاغيةُ أَوِ الإِخباريةُ (Informativity)**: وَعَرَّفَها (دي بوجراند) و(دريسلر) بِأَنَّها:»مَدى التَّوَقُّعِ الَّذي تَحْظى بِهِ وَقائِعُ النَّصِّ المَعْروضِ في مُقابِلِ عَدَمِ التَّوَقُّعِ (Non-occurvences)، أَوِ المَعلومِ في مُقابِلِ المَجْهولِ» (أبو غزالة وحمد 32)، وَمِنْ هُنا فَمِنَ المُهِمِّ أَنْ تَتَّسِمَ الوَقائِعُ والمَعْلوماتُ التي تنتَظِمُ سَبْكَ النّصِّ وَحَبْكَهُ بِالجِدَّةِ والأَصالَةِ والابْتِكارِ ليغْدو النَّصُّ أَعْلى قيمَةً.

7. **التَّناصُّ (Intertextuality)**: وَهو العَلاقَةُ بَيْنَ النَّصِّ مَوْضِعِ الدِّراسَةِ وَنُصوصٍ أُخرى مُرْتَبِطَةٍ بِهِ، وَقَعَتْ في حُدودِ تَجْرِبَةٍ سابِقَةٍ، سَواءً أَتَمَّ هَذا الارتِباطُ بِوَساطَةٍ أَمْ بِلا وَساطَةٍ.

وَسائِلُ السَّبكِ النَّحوِيَّةُ في قَصيدةِ (غَيرُ مجدٍ)

الوَسيلةُ الأولى:

الإِحالَةُ (Reference)

تَقومُ الإِحالَةُ أَساسًا عَلى فِكْرَةِ ما يَعودُ إِلَيْهِ الضَّميرُ أَوْ ما يَقومُ مَقامَهُ في النَّصِّ كأسماءِ الإِشارَةِ أَوِ المَوصولاتِ، سَواءٌ أَكانَ العَوْدُ عَوْدًا لَفْظيا أَمْ عَوْدًا مَعْنَويا، وَهَذِهِ الوَظيفَةُ الإِشاريةُ التي يَضطَلِعُ بِها الضَّميرُ أَوْ ما يَقومُ مَقامَهُ تُمَثِّلُ عِمادَ فَلْسَفَةِ الإِحالَةِ القائِمَةِ عَلى رَبْطِ أَجْزاءِ الكَلامِ رَبْطًا سَبْكيا دَلاليا جامِعًا يُمَكِّنُ المُتَلَقي مِنْ إِدْراكِ العَلاقَةِ المَعْنويَّةِ بَينَ السابِقِ واللاحِقِ (عفيفي 524).

وَتُقْسَمُ الإِحالَةُ النَّصيةُ إِلى ثَلاثَةِ أَقْسامٍ:

أَولًا: الإِحالَةُ بِالعَناصِرِ الإِحالية: والعَناصِرُ الإِحاليةُ «قِسْمٌ مِنَ الأَلْفاظِ لا يَمْلِكُ دَلالَةً مُسْتَقِلَّةً، بَلْ يَعودُ إِلى عُنْصُرٍ، أَوْ عَناصِرَ أُخْرى مَذْكورَةٍ في أَجزاءٍ أُخْرى مِنَ الخِطابِ» (دي بوجراند 320).

والإِحالَةُ بِالعَناصِرِ الإِحاليةِ تُقسَمُ إِلى قِسْمَيْنِ:

1. **إِحالَةٌ داخِليةٌ**: وَهي أَنْ يُحيلَ لَفْظٌ إِلى مُكَوِّنٍ أَوْ عُنْصُرٍ أَوْ تَركيبٍ داخِلَ النَّصِّ نَفْسِهِ لا خارِجَهُ، وهُناكَ نوعانِ مِنَ الإِحالَةِ الداخِليةِ:

أ- إِحالَةٌ قَبْليةٌ: وَهي أَنْ تَكونَ الإِحالاتُ موجَّهَةً إِلى ما هو مَذْكورٌ سابِقًا قَبْلَ ذِكْرِ المُحيلِ.

ب- إِحالَةٌ بَعْديةٌ: وَهي أَنْ تُحيلَ العَناصِرُ الإِحالية إِلى ما هو مَذْكورٌ بَعْدَها.

وَمِنَ الإِحالاتِ الداخِليةِ اللافِتَةِ في داليةِ المعرّي قَوْلُهُ:

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمامَةُ أَمْ غَنَّـــــ ـــــتْ عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيادِ (المعرّي 972).

وَهُنا تَمَثَّلَ العُنْصُرُ الإِحالي في اسْمِ الإِشارَةِ (تِلْكُمُ)، وَقَدْ حَقَّقَ إِحالَةً بَعْديةً إِلى (الحَمامَةُ)، واللافِتُ جِدًّا أَنَّ الشاعِرَ اسْتَخْدَمَ اسْمَ إِشارَةٍ للبَعيدِ مَتْبوعًا بِصِلَةٍ لَفْظيةٍ تَدُلُّ عَلى التَّعْظيمِ (كُمْ)، مَعَ أَنَّ الشاعِرَ يَقْصِدُ في الحَقيقَةِ الحَمامَ القَريبَ إِلَيْهِ الَّذي يُشاهِدُهُ عَنْ كَثَبٍ، ودَليلُ ذلك أَنَّهُ يُنادي الحَمامَ بَعْدَ ذلكَ نِداءَ القَريبِ بِقَوْلِهِ: أَبَناتِ الهَديلِ؛ ما قَدْ يوحي بِمُعْضِلَةٍ سَبْكيةٍ في الأَبْياتِ. والحَقيقَةُ أَنَّ إِشارَتَهُ بِالبَعيدِ المُعَظَّمِ لِما هو قَريبٌ مِنْهُ جاءَ في غايَةِ الانسِجامِ والتَّناسُقِ السَّبْكي؛ لِأَنَّ الشاعِرَ يَرى أَنَّ الحَمامَ يَبْكي ولا يُغَنّي في حَقيقَةِ اعتِقادِهِ، وَقَدْ كَشَفَ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ تَقْديمِهِ البُكاءَ عَلى الغِناءِ في البَيْتِ؛ فانْتَصَرَ لِمَنْ قالَ مِنَ العَرَبِ إِنَّ الحَمامَ يَبْكي في هَديلِهِ، في مُقابِلِ مَنْ قالَ إِنَّ الحَمامَ يُغَنّي

هَديلًا، وَبِما أَنَّهُ يَرى الهَديلَ بُكاءً فإنَّ سِرَّ بُكاءِ الحَمامِ وَفاؤُهُ مُنْقَطِعُ النَّظيرِ لِأبي الحَمامِ الأَوَّلِ (الهَديلِ) الَّذي ماتَ - بحَسَبِ الأُسطورَةِ- فَتَعَهَّدَتْ بَناتُهُ مِنَ الحَمامِ بِأَنْ تَبْكيَهُ طَوالَ الدَّهْرِ وَفاءً مِنْها، وَبَقاءً عَلى عَهْدِهِ، يَقولُ الدّميريُّ في هذا:» الهديل فرخٌ كانَ على عهدِ نوحٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، فصادَهُ جارِحٌ منَ الطيرِ؛ فليسَ منْ حمامةٍ إلّا وتبكي عليهِ إلى يومِ القيامةِ» (الدميري 520). وَلَمّا كانَ هذا الفِعْلُ مِنْها فِعْلا عالي الشأنِ عَدَّهُ بَعيدًا في فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ عَنِ العادي مِنَ الأَفْعالِ؛ فأشارَ إِلَيْها بالبَعيدِ (تِلْكَ) وَهي قَريبَةٌ مِنْهُ. ثُمَّ لَمّا كانَ هَذا الأَمْرُ مِنْها عَظيمًا أَتْبَعَ إِشارَةَ البَعيدِ بِلاحِقَةِ التَّعْظيمِ (كُمْ).

وَمِنَ بَديعِ الإِحالاتِ الداخِليةِ القَبْليةِ في القَصيدَةِ مَدْحُهُ أَبا حَمْزَةَ الفَقيهِ، وَهوَ المَرْثي في القَصيدَةِ، بِقَوْلِهِ:

أَنْـتَ مِـنْ أُسْرَةٍ مَضَـوْا غَـيْرَ مَغْـرو ريـــنَ بِعيشَـــةٍ بِـــذاتِ ضِـــمادِ (المعرّي 996).

وَقَعَتْ الإِحالَةُ في الضَّميرِ واوِ الجَماعَةِ في (مَضَوْا) العائِدِ إِلى (أُسْرَةٍ) المَذْكورَةِ قَبْلًا،

وَفي سبيلِ تحقيقِ التماسُكِ النصِّيِّ أَتبعَ أبو العلاءِ هذهِ الإِحالةَ إِحالاتٍ قبليَّةً للمُحالِ إِلَيْهِ السابقِ (المرثيّ/ المتوفّى مِن عشيرته) لِإكمالِ الفكرةِ التي يُريدُ أنْ يُثبِتَها حولَ المرثيِّ وأسرتِهِ، وهيَ فكرةٌ قائمةٌ على الرفعِ مِنْ سَويَّةِ مَنْ يُعلونَ شأنَ الروحِ ولا يَغرَقونَ في مَلَذّاتِ الدنيا الزّائفةِ، في مُقابِلِ أولئكَ الذين يَغرقونَ في الملذّاتِ الماديَّةِ الآنيَّةِ الفاسدةِ الفانيَةِ؛ وهنا تأتي هذهِ الفكرةُ لِصفاتِ المرثيِّ وأهلِهِ داعمةً للمضمونِ العامِّ الذي يُقيمُ الشاعرُ نَصَّهُ عليهِ في إطارِ رؤيتِهِ للحياةِ والموتِ. يَقولُ الشَاعرُ مُخاطبًا المرثيَّ ومَنْ قَضى مِنْ أُسرتِهِ:

لا يُغَيِّرْكُـــمُ الصَّعيـــدُ وَكونـــوا فيـــهِ مِثـــلَ السُّـــيوفِ في الأَغـــمادِ (المعرّي 997).

فقد وقعتِ الإِحالَةُ القبليَّةُ بالضَّميرِ (كُمْ) في (يُغَيِّرْكُمْ)، وبالضَّميرِ واوِ الجماعةِ في (وَكونوا) بالإِحالةِ إِلى المرثيِّ وَعشيرَتِهِ، وَهُوَ يُخاطبهمْ بِفِعْلَيْ أَمْرٍ يَحمِلانِ مَعنى الدُّعاءِ؛ يَدعو أَنْ يَرْقُدَ هؤلاءِ الروحانيّونَ في التُّرابِ دونَ أَنْ يُبلِيَ التُّرابُ والزمنُ أَجسادَهُمُ الطاهرةَ النقيَّةَ؛ لِيبقَوْا حاضِرينَ بِإِيجابيَّتهم وفاعليَّتهم التي عاشوا بِها، مثلما تَبْقى فاعليَّةُ السَّيْفِ وَإِنْ تَضَمَّنَهُ الغِمْدُ.

ثمَّ تأتي الإِحالَةُ القبليَّةُ الرابعةُ لِتُكْمِلَ مَشهدَ التَّماسُكِ التامِّ في هذهِ الفكرةِ منَ القَصيدَةِ؛ إِحالَةٌ يُعَلِّلُ بِها الشاعرُ سببَ رَغبتِهِ بِعَدَمِ فَناءِ أَجسادِ المرثيِّ والمتوفّى من عَشيرَتِهِ. يَقولُ في هَذا:

فَعَزيـــزٌ عـــليَّ خَلْـــطُ اللّيـــالي رِمَّ أَقداِكُـــمْ بِـــرِمِّ الهَـــوادي (المعرّي 997).

فالإِحالَةُ القبليَّةُ في ضَميرِ المتكلِّمِ (كُمْ) في (أَقدامِكُمْ) أَظهرَتْ رَفْضَ الشاعرِ وَعَدَمَ تقبُّلِهِ لِرؤيَةِ أَجسادِ المرثيِّ وعشيرتِهِ تَبلى مَعَ مُرورِ الزَّمَنِ؛ فَتَخْتَلِطُ عِظامُ أَقدامِهِم بِعِظامِ رؤوسهم؛ وَهُمُ الذينَ ارتَقَوْا بِعُلُوِّ أرواحِهِم، وأَنَفَةِ نُفوسِهِم، وانصِرافهمْ عَنْ مَفاسِدِ الدُّنيَا وَغرورِها. ولا يَخْفى ما أَسْهَمَتْ بِهِ أَداةُ الربطِ الفاءُ السببيَّةُ في أَوَّلِ البيتِ (فَعزيزٌ) في إِحداثِ التناسُقِ النصيِّ المتماسِكِ في هذهِ الأبياتِ.

غيرَ أَنَّ الشّاعرَ لا يَلبَثُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لحتميّةِ الموتِ والفناءِ وَبلاءِ الجسدِ، وحتميَّةِ القدرِ الواقعِ عَلى بَني البشرِ؛

فَيُتبعُ هذهِ الإحالاتِ إحالاتٍ تختلفُ في صيغتها عنِ الإحالاتِ السابقةِ إفرادًا وجمعًا؛ فالإحالاتُ السابقةُ كانتْ بصيغةِ الجمعِ في إطارِ المدحِ والتمنّي لهُ ولعشيرتِهِ، لِتنقلبَ الصيغةُ إلى الإحالةِ بِضميرِ المُفردِ العائدِ على المرثيِّ نَفْسِهِ في قَوْلِ الشاعرِ:

كنتَ خِلَّ الصِّبا فلمّا أراد الـ ـبَيْنَ وافقْتَ رأيَهُ في المرادِ
ورأيتَ الوفاءَ للصّاحبِ الأوْ وَلِ مِنْ شِيمةِ الكريمِ الجوادِ
وخلعتَ الشّبابَ غَضًّا فيا لَيْـ ـتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الأَنْدادِ (المعرّي 998).

فَوَقعتِ الإحالةُ في ثَلاثةِ الأبياتِ السابقةِ بضميرِ المُخاطبِ المُفردِ (تَ) في (كنتَ، وافقتَ، رأيتَ، خَلَعتَ)، وقدْ عَدَلَ الشاعرُ إلى ضَميرِ المفردِ لِأَنَّهُ في هذهِ الأبياتِ خَرجَ منَ التمنّي والمديحِ للمرثيّ وعشيرته إلى الحقيقةِ التي عادَ إلى إدراكِها مُكْرَهًا، كَكُرْهِهِ على العيشِ في هذهِ الدنيا الفانيَةِ، هذهِ الحقيقَةُ مَفادُها أَنَّ هذا الموتَ الحتميَّ القاهرَ لا يَرْحَمُ أمانيَّنا، ولا تَعْنيهِ أَحوالُنا مِنْ صِغرِ السنِّ، أَوْ موفورِ الصحَّةِ، أَوْ حُسنِ السّيرةِ ونقاءِ السريرَةِ؛ فالموتُ حَقٌّ على الإنسانِ مُقَدَّرٌ عليهِ في أَيِّ وقتٍ وبأيِّ حالٍ.

غيرَ أنَّ الإحالاتِ السَّابقةَ أظهرتِ المرثيَّ في أرقى صُوَرِهِ الإنسانيَّةِ السّاميَةِ؛ فأبو حمزةَ، على الرغمِ منْ صِغَرِ سِنِّهِ، وتَمامِ صِحَّته، المتمثِّلِ في الإحالَةِ الأولى (كنتَ خِلَّ الصِّبا)، إلّا أَنَّهُ أَظهرَ رِضاهُ بِقَدَرِهِ في انتِهاءِ أَجَلِهِ، وعدَمَ اعتراضِهِ عَلى رَغبةِ الشَّبابِ بالانقضاءِ والرَّحيلِ؛ فَجاءَ رِضاهُ في إحالاتٍ قبليَّةٍ ثلاثٍ: (وافقتَ رأيهُ، رأيتَ الوَفاءَ، خلعتَ الشَّبابَ)، ولا يَخفى ما أَحدثتْهُ هذهِ الإحالاتُ السابقةُ كُلُّها في رسمِ صورةِ الموقفِ الشعريِّ المتناسقِ للشاعرِ في موقفِهِ منَ المرثيِّ أبي حمزةَ الفقيهِ، وهوَ موقفٌ عَبَرَ منهُ الشَّاعرُ إلى البناءِ النصِّيِّ العامِّ الذي جَعَلَهُ الشَّاعرُ هَدَفًا مضمونيًّا سَعى إلى إيصالِهِ لِمتلقِّيهِ.

2. **إحالَةٌ خارِجيةٌ**: وَهي أَنْ يُشيرَ عُنْصُرٌ مِنْ عَناصِرِ الإحالَةِ إلى ما هوَ خارِجَ النَّصِّ؛ فاذا ما تَتَبَّعْتَ المَقْصودَ مِنَ الضَّميرِ أَوِ اسْمِ الإشارَةِ مَثَلا وَجَدْتَهُ يُحيلُ إلى عُنْصُرٍ لَمْ يَتِمَّ ذِكْرُهُ داخِلَ النَّصِّ.

تَمَثَّلَتِ الإحالَةُ الخارِجيةُ في داليةِ المعرّي في إشارَتِهِ إلى أُسطورَةٍ قَديمَةٍ حَوْلَ طائِرِ الحَمامِ وَصَوْتِهِ الهَديلِ، في قَوْلِ المعرّي:

أَبَنـاتِ الهَديـلِ أَسْـعِدْنَ أَوْ عِـدْ نَ قَليـلَ العَـزاءِ بِالإِسْـعادِ
إِيـهِ للهِ دَرُّكُـنَّ فانْثُنْـنَ اللَّـواتي تُحْسِـنَّ حِفْـظَ الـوِدادِ
مـا نَسِـيتُنَّ هالِـكًا في الأَوانِ الـ ـخالِ أَوْدى مِـنْ قَبْـلِ هُلْـكِ إِيادِ (المعرّي 980).

فالإحالَةُ بالموصولِ (اللواتي) تتمَثَّلُ بِالصِّلَةِ المُحالِ إِلَيْها (تُحْسِنَّ حِفْظَ الوِدادِ)، وَعُلاقَةُ الحَمامِ بالوَفاءِ وَحِفْظِ الوِدادِ تَرْتَدُّ إلى أُسطورَةٍ مَحْفورَةٍ في ذاكرةِ الوعيِ الجمعيِّ عند العَرَبِ القُدَماءِ، هَذهِ الأُسطورَةُ مَفادُها أَنَّ فَرْخَ الحَمامِ المُسَمى الهَديلَ ماتَ عَلى زَمَنِ نوحٍ - عليهِ السلامُ - بَعْدَ أَنْ صادَهُ جارِحٌ مِنَ الجَوارِحِ فَفَتَكَ بِهِ؛ ووفاءً مِنْ باقي الحَمامِ لِهذا الهَديلِ،

وَحُزْنًا عَلَيْهِ، بَكَتِ الحَمامُ بِصوتٍ شَجي حَزينٍ هو صَوتُ الحَمامِ عُمومًا بَعْدَ هَذِهِ الحادِثَةِ حَتى يَوْمِنا هَذا، وَمِنْ حينِهِ سُمِّيَ صَوتُ الحَمامِ هَديلًا. وَهذِهِ الأُسطورَةُ يَرويها المعرّي في كِتابِه (شَرْحُ التَّنويرِ عَلى سِقْطِ الزَّنْدِ) (المعرّي 520).

وَهذِهِ الإِحالَةُ جِدُّ مُؤَثِّرَةٍ في المَغْزى الدَّلاليِّ العامِّ الذي يَسبِكُ الشاعِرُ بِهِ نَصَّهُ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَضْمونَ الإِحالَةِ الخارِجيةِ قائِمٌ عَلى الوَفاءِ المُنْقَطِعِ النَّظيرِ مِنَ الحَمامِ لِذلكَ الذَّكَرِ الهالِكِ مُنْذُ غابِرِ العُصورِ، هذا الوَفاءُ المُتَّجِهُ أَساسًا لِروحِ الهَديلِ لا لِجَسَدِهِ؛ لِأَنَّ جَسَدَهُ بَلِيَ بالضَّرورَةِ، وَصارَ نَسيًا مَنْسيا، غَيْرَ أَنَّ الذي لَمْ يُنْسَ بِتعاقُبِ الدُّهورِ ذِكرى روحِهِ الخالِدَةِ في أَرواحِ الحَمامِ الحَيِّ مِنْ بَعْدِهِ؛ إِذْ لا تواصُلَ جَسَديًّا بَيْنَ الهَديلِ الهالِكِ جَسَدُهُ وَبَيْنَ والحَمامِ، وإِنَّما يَنْصَرِفُ الوَفاءُ إِلى روحِهِ الباقيةِ في نُفوسِهِمْ، وَفي هذا كُلِّهِ دَعْوَةٌ خَفيةٌ مِنَ المعرّي إِلى بَني البَشَرِ إِلى تَعَلُّمِ فَهْمِ الحَياةِ وَفَلْسَفَتِها مِنَ الحَمامِ الذي لَمْ يَحْرِفْهُ هَلاكُ جَسَدِ الهَديلِ وَفَناؤُهُ عَنِ الوَفاءِ لِروحِهِ الخالِدَةِ في أَرواحِهِمْ وَنُفوسِهِم؛ فَما قيمَةُ الحَياةِ إِذا حَصَرْنا اهْتِمامَنا في إِعلاءِ شأنِ جَسَدٍ مَصيرُهُ إِلى الهَلاكِ والفَناءِ، وأَغْفَلْنا النَّفْسَ المُتَّصِفَة بِدَيْمومَةِ البَقاءِ حَتى بَعْدَ زَوالِ الجَسَدِ؟

ثانيا: الإِحالَةُ بِالاسْتِبْدالِ (Substitution): تَعْني الإِحالَةُ بالاسْتِبْدالِ في الدِّراساتِ النَّصيةِ وُقوعَ عُنْصُرٍ إِحالي في مَوْقِعِ عُنْصُرٍ آخَرَ، وَقيامَهُ مَقامَهُ في التَّركيبِ اللُّغَوي. (Halliday and Hassan 88). وَهذا يختلِفُ عَنِ الإِحالَةِ بِالعَناصِرِ الإِحاليَّةِ التي تُشيرُ إِلى ما هو مَذْكورٌ قَبلًا أَوْ بَعْدًا في النصِّ أَو تُشيرُ إِلى ما هو خارِجُ النَّصِّ مَعَ أَخْذِ كُلِّ عُنْصُرٍ حَظَّهُ مِنَ القَصْدِ الدَّلالي في التَّرْكيبِ وَفي السياقِ السَّبْكي؛ فالإِحالَةُ بالاسْتِبْدالِ تَقْتَضي أَنْ يَقومَ العُنْصُرُ المُحيلُ مَقامَ العُنْصُرِ اللُّغَوي المُحالِ إِلَيْهِ في المَوْضِعِ نَفْسِهِ مِنَ النَّصِّ مَوْضِعِ الدِّراسَةِ، وَيَكونُ الاسْتِبْدالُ بِإِحلالِ عُنْصُرٍ مَحَلَّ عُنْصُرٍ لُغَوي آخَرَ في المَوْضِعِ نَفْسِهِ حَتى وانْ كانَ العُنْصُرُ المُسْتَبْدَلُ مَذْكورًا قَبْلًا أَوْ بَعْدًا؛ فانَّ عَمَليةَ الاسْتِبْدالِ تَتَمَثَّلُ فَعّاليتُها النَّصيةُ في وُقوعِ اللفْظِ في مَوقِعِهِ التَّرْكيبي المُناسِبِ في عَمَليةِ السَّبْكِ اللُّغَوي، لا في الإِشارَةِ إِلى عُنْصُرٍ في مَوْضِعٍ آخرَ مِنَ النَّصِّ كما في الإِحالَةِ بِالعَناصِرِ الإِحاليةِ؛ فالاستِبْدالُ أَساسًا مَخصوصٌ بالجانِبِ اللُّغَوي القائِمِ عَلى وُقوعِ لَفْظٍ في مَوْقِعِ لَفْظٍ أَوْ مَجموعَةٍ مِنَ الأَلفاظِ، مِنْ هُنا فإِنَّ مِنْ شُروطِ الاسْتِبْدالِ أَنَّهُ لا يَقَعُ إِلا داخِلَ النَّصِّ، كَما يُشْتَرَطُ في الاسْتِبْدالِ أَنْ يَشْتَرِكَ العُنْصُرانِ في البِنْيَةِ الوَظيفيةِ للعُنصُرِ البَديلِ والعُنْصُرِ المُبْدَلِ مِنْهُ (هاينه و وفيهفنجر 27).

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ التَّوضيحيَّةِ لِلإِحالَةِ بِالاسْتِبْدالِ اسْتِخْدامُ اسْمِ الإِشارَةِ (هذا) في موضِعِ فِعْلِ الفاحِشَةِ في قولِهِ - تَعالى - عَلى لِسانِ العَزيزِ: ﴿يوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذا واسْتَغْفِري لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف 29)؛ فاسْمُ الإِشارةِ (هذا) جاءَ هنا بَديلًا لِعبارةِ (مراودة امرأةِ العزيزِ ليوسفَ)، وهنا يَصْلُحُ الاسْتِبدالُ بَينَ العُنْصُرينِ لَفْظيا دونَ اخْتِلالِ التَّرْكيبِ اللغويِّ في السياقِ النَّصي، ولا يَتَحَقَّقُ الاسْتِبْدالُ إِلا بالرُّجوعِ إِلى الكلامِ السابِقِ في النَّصِّ؛ للبحثِ عَنِ العُنْصُرِ المُسْتَبْدَلِ مِنْهُ القابِلِ لِسَدِّ الثَّغْرَةِ سَدًّا مُطابِقًا للعُنْصُرِ المُسْتَبْدَلِ بِهِ المَذْكورِ في المَوْضِعِ المُحَدَّدِ في النَّصِّ، وَتَكونُ الإِحالاتُ الاسْتِبْداليةُ إِحالاتٍ قَبْليةً لا بَعْديةً في مُعْظَمِ الأَحيانِ، نَبْحَثُ فيها عَنِ العُنْصُرِ المُسْتَبْدَلِ مِنْهُ في الكَلامِ السّابِقِ لِمَوْضِعِ الاسْتِبْدالِ؛ فَمِنْ وُجهةِ نظر (هاليدي وحسن) فإِنَّ الاسْتِبْدالَ يَتَحَقَّقُ في «البحثِ عن الاسْمِ أَوِ الفِعْلِ أَوِ القَوْلِ الذي يَمْلأُ الثَّغْرَةَ في النَّصِّ السابِقِ؛ أَيْ أَنَّ المعلوماتِ التي تُمَكِّنُ القارئَ مِنْ تأويلِ العُنْصُرِ الاسْتِبْدالي توجَدُ في مَكانٍ آخرَ في النَّصِّ» (Halliday and Hassan 88)، وَيَرى الباحثُ أَنَّ الاستبدالَ بِما يُذْكَرُ بَعْدَ البديلِ مُمْكِنٌ في النُّصوصِ العَرَبيةِ عَلى ما سَيَتَّضِحُ في الإِحالَةِ الاسميَّةِ بَعْدَ قَليلٍ.

وَيَذْهَبُ عُلَماءُ النَّصيةِ إِلى أَنَّ الإِحالَةَ بالاسْتِبْدالِ تَنْقَسِمُ إِلى ثَلاثَةِ أَقْسامٍ:

1. **الاسْتِبْدالُ الاسْمي (Substitution Nominal)**: وَهوَ الاسْتِبْدالُ الحاصِلُ بَيْنَ اسْمَيْنِ مِنْ مُفرَداتِ اللُّغَةِ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ بَعْضُ الأَسْماءِ المَخْصوصَةِ التي تَقَعُ بَدَلًا مِنَ اسْمٍ آخَرَ؛ مثل الكلماتِ: (آخر، أُخرى، واحد، واحدة، هذا، ذلك)، أو أَيِّ اسْمٍ يَصْلُحُ وُقوعُهُ بَدَلا مِنَ اسْمٍ آخرَ مَذْكورٍ في النَّصِّ، ويَسْتَقيمُ إِيقاعُ الاسْتِبْدالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُبْدَلِ مِنْهُ، وَهنا قَدْ يَبْدو الاستِبْدالُ مُتَقاطِعًا مَعَ الإِحالَةِ بِالعَناصِرِ الإِحاليةِ، غَيْرَ أَنَّ ثَمَّةَ مَلْمَحًا قَدْ يُلْحَظُ بَيْنَ الاسْتِبْدالِ والإِحالَةِ يَتَمَثَّلُ في اشْتِراطِ التَّطابُقِ الدَّلالي بَيْنَ المُحالِ والمُحالِ إِلَيْهِ بالعناصِرِ الإِحاليَّةِ، في حينِ أَنَّ العَلاقَةَ بَيْنَ المُسْتَبْدَلِ والمُسْتَبْدَلِ بِهِ تَقومُ عَلى عُنْصُرِ الاسْتِبْعادِ (Repudiation)، وَيَقومُ عَلى اخْتِلافِ وَصْفِ المُسْتَبْدَلِ بِهِ والمُسْتَبْدَلِ مِنْهُ؛ يُؤدي إِلى إِعادَةِ تَحْديدِ المُسْتَبْدَلِ مِنْهُ عَبْرَ اسْتِبْعادِ وَصْفِهِ السابِقِ، واعْطاءِ المُسْتَبْدَلِ بِهِ وَصْفًا مُقابِلًا للوَصْفِ السابِقِ. (الخطابي ٢١)

وَمِنْ الاستبدالِ الاسمي الذي أسهمَ في اتِّساقِ النصِّ وتماسُكِهِ استخدامُ المعرّي اسمَ الإشارةِ في قولِهِ:

وَدِّعــا أَيُّهــا الحَفِيّــانِ ذاكَ الشْـــــ ـــــشَخْصَ إِنَّ الــوداعَ أَيْــسَرُ زادِ (المعرّي 989).

فقدْ وَقَعَ الاستبدالُ في هذا البيتِ في كلمةِ (الشخص) التي جاءت بدلًا مِنْ العَلَمِ (أبي حمزة) ولو قالَ الشّاعرُ: ودِّعا أبا حمزةَ؛ لاستقام المعنى. لكنْ لِمَ استبعَدَ أبو العلاءِ اسمَ أبي حمزةَ واستبدلَ بِهِ (الشَّخْصَ)؟ الإِجابةُ عن ذلكَ تأتي من خلالِ تتبُّعِ السَّبْكِ النحويِّ للكلامِ قبلَ ورودِ الاسمِ المُسْتبدَلَ، ومِنْ معنى هذا المستبدَلِ وما يتميَّزُ بِهِ مِنْ دَلالاتٍ فارقةٍ؛ فالشاعرُ ذكر اسمَ أبي حمزةَ في أوَّلِ حديثِهِ عنهُ مباشرةً في القَصيدةِ بقولِهِ:

قَصَــدَ الدَّهْــرُ مِــنْ أبي حمــزةَ الأَوَّا بِ مَــوْلى حِجًــا وَخِــدْنَ اقْتِصــادِ (المعرّي 985).

وَفي هذا البيتِ وأبياتٍ عَديدَةٍ بَعدَهُ يُعَدِّدُ الشاعرُ باسترسالٍ بالغٍ صِفاتِ أبي حمزةَ وأخلاقَهُ وإِنجازاتِهِ العلميَّةَ والدينيَّةَ؛ فيقولُ فيهِ (المعرّي 986):

وفَقيهــاً أفــكارُهُ شِــدْنَ للنّعْـــ ـــمانِ مــا لم يَشِــدْهُ شــعرُ زِيــادِ
فالعِراقــيُّ بَعْــدَهُ للحِجــازِيْ يِ قليــلُ الخِــلافِ سَــهْلُ القِيــادِ
وخَطيبــاً لــو قــامَ بَــينَ وُحُــوشٍ عَلّــمَ الضّارِيــاتِ بِــرَّ النِّقَــادِ
رَاوِيــاً للحَديــثِ لم يُخْــوِجِ المَعْـــ ـــرُوفَ مِــنْ صِدْقِــهِ إِلى الإِسْــنادِ
أَنْفَــقَ العُمــرَ ناسِــكاً يَطْلُــبُ العِلْـــ ـــمَ بكَشْــفٍ عَــن أَصْلِــهِ وانْتِقــادِ
مُســتَقِي الكَــفِّ مِــنْ قَليــبِ زُجــاجٍ بِغُــرُوبِ الــيَرَاعِ مــاءَ مِــدادِ
ذا بَنَــانٍ لا تَلْمُــسُ الذّهَــبَ الأَحْـــ ـــمَرَ زُهْــداً في العَســجَدِ المُســتَفادِ

فأبو حمزةَ هذا ليسَ رَجُلًا عادِيًّا تَمُرُّ جَنازَتُهُ مُرورَ الكِرامِ؛ وعليْهِ فلمْ يذكرِ الشاعرُ اسمَهُ بَلِ استبدَلَ باسمِهِ كلمةَ الشَّخصِ، وَهيَ كلمةٌ تَدُلُّ عَلى ما هُوَ ظاهرٌ بارزٌ شاخصٌ مرتفعٌ؛ جاءَ في اللسانِ:»الشَّخْص: كلُّ جِسْمٍ لَهُ

ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ»، وهيَ هُنا أنسَبُ لِكَمِّ صِفاتِ المدوحِ وسموِّها ورقيِّها؛ لِتُحدِثَ اتِّساقًا نصِّيًّا يَجعَلُ الحديثَ عن أبي حمزةَ متآلِفًا متناسِقًا يَعضُدُ بَعضُهُ بَعضًا. وَليسَ هذا استبدالًا جُمليًّا كما قد يتبادرُ إلى الذهنِ؛ فكلمةُ (الشخص) تُشيرُ بالضَّرورةِ إلى أبي حمزةَ الإنسانِ، غيرَ أنَّ الظلالَ الدّلاليَّةَ التي تُحيطُ بالكلمةِ البديلةِ منَ الرفعةِ والظهورِ هيَ التي حقَّقَتِ الاستبعادَ الدلاليَّ الذي أتاحهُ الاستبدالُ الاسميُّ.

2. **الاسْتِبْدالُ الجُملي (Clausal Substitution)**: وَيَتِمُّ مِنْ خِلالِ إحلالِ عُنْصُرٍ لُغَوي مَحَلَّ عِبارَةٍ كامِلَةٍ مَذْكورَةٍ سابِقًا، عَلى أَنْ يَتَضَمَّنَ العُنْصُرُ البَديلُ مُحْتَوى العِبارَةِ المُسْتَبْدَلِ بِها وَفَحْواها، وتُمَثِّلُ الاستبدالَ العِباريَّ في الإنْجليزيَّةِ كلماتٌ مثلُ: (Halliday and Hassan 130) (so /not)، وفي العربيَّةِ يُمكِنُ وقوعُ الاسْتبدالِ العِباريِّ بِكَلِماتٍ مثلِ: هذا، ذلك، الذي قلت، الذي فعلت، أو ما في فحواها الاسْتبداليِّ.

وَقَدْ جاءَ الاسْتِبْدالُ العِباريُّ في القَصيدَةِ استِمرارًا للاستبدالِ الفِعليِّ السّابقِ حينَ أسهبَ الشاعرُ في وَصفِ الحَمامِ وَهديلِهِنَّ، وَفي وضعِهِ تَصَوُّرًا قِيَمِيًّا لِهَديلِهِنَّ قائِمًا عَلى الوَفاءِ منقطعِ النَّظيرِ مِنْهُنَّ، وقد جاءَ هذا في قوله (المعرّي 979):

أَبَنــاتِ الهديــلِ أســعِدْنَ أَوْ عِــدْ ... نَ قَليــلَ العَــزاءِ بِالإِسْــعادِ
إِيــــهِ لله دَرُّكُــــنَّ فانْثُنْــ ... ــنَ اللَّواتي يُحْسِنَّ حِفْظَ الوِدادِ
مــا نَسيتُنَّ هالِــكًا في الأوانِ الــ ... ــخالِ أَودى مِنْ قَبْلِ هُلْكِ إِيادِ
بَيْــدَ أَني لا أَرْتَــضي مــا فَعَلْتُنْــ ... ــنَ وأَطْواقُكُــنَّ في الأَجيــادِ

وَهنا يَصِفُ الشاعرُ الحمامَ بمجموعةٍ منَ الجُمَلِ والعِباراتِ: بَناتِ الهَديلِ (يَهدلنَ حُزنًا ووفاءً للهديلِ أبي الحمام) أسعدنَ، يُحسِنَّ حفظَ الودادِ، ما نسيتُنَّ هالِكًا). ثُمَّ يَستبدلُ الشاعِرُ بِكُلِّ هذهِ العِباراتِ والجملِ كَلِمةَ (فعلتُنَّ) الدالَّةَ على كُلِّ أفعالِهِنَّ؛ لِيَقولَ إِنَّهُ على الرّغمِ منْ تقديرِهِ لِكُلِّ هذهِ الأفعالِ التي قامَ بِها الحَمامُ إِلّا أَنَّهُ لا يَرى ذلكَ لائِقًا مَعَ تَعَلُّقِهِنَّ بِأَحَدِ مَظاهِرِ الزينةِ المتمثِّلِ بتَزَيُّنِهِنَّ بِالأَطواقِ، وَهُنا تآلَفَ الاستبدالُ الفعليُّ والاستبدالُ العِباريُّ لِيُحدِثَ تَماسُكًا سَبْكِيًّا جَعَلَ النصَّ أكثرَ انسِجامًا، وجنَّبَ الكَلامَ الحَشوَ والتكرارَ الذي كانَ سيجعلُ السبكَ رَكيكًا.

ثالِثًا: الإحالَةُ بِالحَذْفِ (Ellipsis): يَتَمَحْوَرُ مَعنى الحَذْفِ لُغويا حَوْلَ القَطْعِ والإِسْقاطِ والطَّرْحِ، وكُلُّها تُشيرُ إِلى نُقْصانِ جُزْءٍ منَ الشَّيْءِ. أَما الحَذْفُ في الاصْطِلاحِ النَّحْوي فَهو: «إِسْقاطٌ لِصيغٍ داخِلَ النَّصِّ التَّرْكيبي في بَعْضِ المَواقِفِ اللُّغَويةِ، وَهذِهِ الصيغُ يُفْتَرَضُ وُجودُها نَحْويا؛ لِسَلامةِ التَّرْكيبِ، وتَطبيقًا للقواعِدِ، ثُمَّ هيَ مَوجودَةٌ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ توجَدَ في مَواقِفَ لُغَويةٍ مُخْتَلِفَةٍ» (أبو المكارم 200).

هذا في الإِطارِ التَّركيبيِّ المِعْياري لِمفهومِ الحَذْفِ في النِّظامِ اللُّغَوي، أَما في المَفْهومِ النَّصي فَيُقْصدُ بِهِ: «اسْتِبْعادُ العِباراتِ السَّطْحيةِ التي يُمْكِنُ لِمُحتَواها المَفْهومي أَنْ يَقومَ في الذِّهْنِ، أَوْ أَنْ يوسَّعَ، أَوْ أَنْ يُعَدَّلَ بِوَساطَةِ العِباراتِ النّاقِصَةِ» (دي بوجراند 301)، والحَذْفُ مِنْ حَيْثُ البِناءُ السَّبْكي للنَّصِّ يَتَقاطَعُ مَعَ الإِحالَةِ بالاسْتِبْدالِ؛ مِنْ حَيْثُ الإِسْهامُ في الاتِّساقِ السَّبْكيِّ والبِنائِيِّ للنَّصِّ، وَيَكْمُنُ الفَرْقُ بَيْنَهُما في كَوْنِ الحَذْفِ إِبْدالًا مِنَ الصِّفْرِ، أَوِ اكتِفاءً بِالمَبْنى العَدَمي (Substitution by zero) (دي بوجراند 340)، وَفي إِطارِ التَّماسُكِ السَّبْكي يَلْعَبُ الحَذْفُ دَورًا بارِزًا في

إيجادِ التَّرابُطِ الاتِّساقي بَيْنَ أَجْزاءِ الكَلامِ حينَ يأتي الحَذْفُ وَفْقَ ضَرورَةٍ اقْتضاها بِناءُ التَّرْكيبِ النَّصي؛ فَيَبْدو النَّصُّ مُنْسَجِمًا وَمُترابِطًا.

ففي قَولِ المعرّي:

والفَتى ظاعـنٌ وَيَكفيهِ ظِلُّ السْـــــ سِـدْرِ أَضْربَ الأَطنـابِ وَالأَوْتـادِ (المعرّي 1003).

تَجِدُ أَنَّ المُسْتَبْدَلَ مِنْهُ في الجُمْلَةِ الأولى (الفتى)، وأنَّ البَديلَ في الجُملَةِ الثانيةِ عَدَمُ ذِكْرِ (الفتى) مَرَّةً أُخْرى؛ لِلعِلْمِ بِهِ عِلْما واضِحًا مِنْ سياقِ التَّرْكيبِ النَّصي الدَّلالي للكَلامِ، وَهذا مَعْنى كَوْنِ الحَذْفِ اسْتِبْدالًا بالمَبْنى العَدَمي.

وَلا شَكَّ أَنَّ الحَذْفَ في المِثالِ السّابِقِ أَسْهَمَ في إيجادِ الانْسِجامِ النَّصي، والتَّرابُطِ التَّركيبيِّ بَيْنَ أَجْزاءِ الكَلامِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَقَعِ الحَذْفُ لَكانَ نَصُّ الكلامِ في البيتِ: (الفتى ظاعنٌ، والفتى يكفيهِ ظلُّ السدرِ)؛ فيَبْدو التَّرْكيبُ مُفَكَّكًا، وكأَنَّنا أَمامَ جُمْلَتَيْنِ مُنْفَصِلَتَيْنِ، وَهُنا يَبْرُزُ غَرَضُ الإيجازِ للحَذْفِ، وَدَوْرُهُ في الاتِّساقِ والتَّماسُكِ النَّصي، هذا إلى جانِبِ الاتِّساقِ الذي أَحدَثَتْهُ الواوُ في ربطِ الكَلامِ وتآلُفِهِ.

وَكَما تَمَّ تَقْسيمُ الاسْتِبْدالِ إلى اسمي، وَفِعْلي، وَقَوْلي عِباري؛ يَرى الباحِثُ أَنَّ العربيَّةَ فيها حَذْفٌ حَرْفي لا يَقِلُّ أَهَميةً سَبْكيةً عَنْ أَنواعِ الحَذْفِ التي حَدَّدها عُلماءُ النَّصيةِ، غَيْرَ أَنَّ النَّظَرَ إلى الحَذْفِ - في حُدودِهِ السَّطْحيةِ وَدورِهِ التَّرْكيبي في التَّماسُكِ النَّصي - فيهِ إِجْحافٌ بِأَدوارٍ أَكْثَرَ عُمْقًا يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَيْها وُقوعُ الحَذْفِ في سياقٍ ما فَرَضَ - دَلاليًّا - وُقوعَ حَذْفٍ مَقْطَعي في التَّرْكيبِ اسْتِنادًا إلى عَلاقَةٍ مَعْنَويةٍ دَلاليةٍ تَجْعَلُ مِنْ وُقوعِ الحَذْفِ في هذا المَوْضِعِ نَوْعًا مِنَ التَّماسُكِ الدَّلالي المَعْنَوي للنَّصِّ، أَوْ أَنْ يَكونَ الحَذفُ في سياقٍ ما مُعادِلًا مَوْضوعيا لِشُعورٍ عِنْدَ مُنْشِئِ النَّصِّ بالنَّقْصِ أَوِ الفَقْدِ أَوِ العَجْزِ أَوِ الرَّغْبَةِ في الإِلْغاءِ، ويكونُ هذا الشعورُ في لاوَعْيِهِ؛ فيفرضُ الحَذْف اللُّغَوي إِشْباعًا لِهذا الشُّعورِ الطاغي لَدى مُنْشِئِ النَّصِّ، وَبِذا نَذْهَبُ في مَفْهومِ الحَذْفِ النَّصي إلى عَوالِمَ أَوْسَعَ في الاتِّساقِ الدَّلالي إلى جانِبِ أَهَميةِ الاتِّساقِ السَّبْكي التَّرْكيبي.

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ التي تَضافَرَ فيها الحَذْفُ الحَرْفيُّ والحَذْفُ الفِعْليُّ في اتِّساقٍ سَبْكي بَديعٍ قَوْلُ المعرّي مُخاطِبًا الإِنْسانَ المُتَكَبِّرَ الذي يَمْشي في الأَرْضِ مرَحًا، ولا يُدْرِكُ أَنَّ هذهِ الأَرْضَ تَضُمُّ في أَديمِها رُفاتَ الأَسلافِ جيلًا بَعْدَ جيلٍ، يقولُ:

سِرْ إِنِ اسْـطَعْتَ في الهَـواءِ رويْـدًا لا اخْتيـالًا عَـلى رُفـاتِ العِبـادِ (المعرّي 975).

وَهُنا يَقَعُ الحَذْفُ الفِعْلي في (سِر رويْدًا لا اخْتيالًا) وتَقْديرُ الأَصْلِ: سِرْ رويْدًا لا تَسِرِ اخْتيالًا، فَمِنْ وُجْهَةِ نَظَرِ الشّاعِرِ فإِنَّ السَّيْرَ عَلى ترابِ الأَرْضِ بِكِبْرٍ وَخُيَلاءَ لَيسَ مَسْموحًا بِهِ.

فالشّاعِرُ وَضَعَ طَريقَتَيْنِ للسَّيْرِ: السَّيْرُ رَوَيْدًا، أَوِ السَّيْرُ اخْتيالًا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرَ مَعَهُما سِوى فِعْلٍ واحِدٍ مَعَ الطَّريقَتَيْنِ، فأَثْبَتَ فِعْلَ السَّيْرِ مَعَ (رَوَيْدًا)، وَحَذَفَ الفِعْلَ مَعَ طَريقَةِ السَّيْرِ التي جاءَ بِها مَنْفيةً (لا اخْتيالًا)، وَكأَنَّ الشاعِرُ يَفْرِضُ - بِالحَذفِ - أَنَّ هُناكَ طَريقَةً واحِدَةً يَجِبُ عَلى الإِنْسانِ السَّيْرُ بِها، وَهي السَّيْرُ بِهدوءٍ وَتَواضُعٍ وَتَمَهُّلٍ.

وَهُنا نَقِفُ أَمامَ حَذْفٍ حَرْفي في الفِعْلِ (اسْطَعْتَ) وأَصْلُهُ (اسْتَطَعْتَ)، وَبِهذا الحَذْفِ أَحْدَثَ الشّاعِرُ انْسِجامًا سَبْكيا دَلاليا فَريدًا، هذا الانْسِجامُ مَرَدُّهُ إِلى حَذْفِ جُزْءٍ مِنْ بِنْيَةِ الفِعْلِ اللَّفْظِيَةِ المَعْهودَةِ؛ لِقَناعَةِ المُتَكَلِّمِ بِنَقْصٍ في المُخاطَبِ عَنِ القيامِ بِهذا الفِعْلِ. وَبالنَّظْرَةِ إلى السَّبْكِ الكُلِّيِّ لِوُقوعِ الحَذْفَيْنِ الحَرْفي والفِعلي في البَيْتِ؛ سَنَجِدُ انْسِجامًا واتِّساقًا نَصيا مَتينًا فَيَعْضُدُ كُلٌّ مِنَ الحَذْفينِ الآخَرَ عَلى النَّحْوِ الآتي:

وَفي اتِّجاهِ الحَذْفِ الاسْمي يَبْرُزُ مِثالٌ لافِتٌ لِحَذْفِ المَفْعولِ بِهِ معَ فِعْلٍ يَتَعَدّى إِلى المَفْعولِ في الأَصْلِ وإِثْباتِهِ مَعَ فِعْلٍ آخَرَ يَتَعَدّى إِلى المَفعولِ في قَوْلِهِ مُخاطِبًا الحَمامَ:

أَبَنــاتِ الهَديــلِ أَسْــعِدْنَ أَوْ عِــدْنَ قَليــلَ العَــزاءِ بالإِسْــعادِ (المعرّي 980).

فالشّاعِرُ حَذَفَ المَفْعولَ بِهِ مَعَ الفِعْلِ (أَسْعِدْنَ) وَهو يَتَعَدّى إِلى المَفْعولِ في الأصلِ، في حينِ أَثْبَتَ المَفْعولَ بِهِ مَعَ الفِعْلِ (عِدْنَ) بِقولِهِ: عِدْنَ قَليلَ العَزاءِ بالإِسْعادِ، وَهذا الحَذْفُ والإِثْباتُ يَنْسَجِمُ انْسِجامًا تامًّا مَعَ دَلالَةِ البَيْتِ، وَمَعَ حالِ المعرّي التي يَعيشُ بِها في الحَياةِ، وَيَنْسَجِمُ مَعَ قَناعاتِ الشّاعِرِ وَنَظْرَتِهِ الفَلْسَفيةِ العَميقَةِ في فَهْمِ الحَياةِ الدُّنيا وَمآلاتِها الوُجودية؛ فالشّاعِرُ الزّاهِدُ في مَلَذّاتِ الحَياةِ وَمادّيّاتِها التي يَراها فانيةً زائِلَةً لا مَحالَةَ، الحابِسُ نَفْسَهُ في مَحابِسَ ثَلاثَةٍ تَصْرِفُهُ عَنْ زينَةِ الحَياةِ وَبُهْرُجِها؛ فَهو حَبيسُ العَمى، وَحَبيسُ البَيْتِ، وَحَبيسُ الجَسَدِ المادي الخَبيثِ، هذا الشّاعِرُ يُخاطِبُ الحَمامَ بِفِعْلَيْ أَمْرٍ يَرى أَنَّها قادِرَةٌ عَلى فِعْلٍ واحدٍ مِنْهُما، وَغَيْرُ قادِرَةٍ عَلى الآخر، فَهوَ يَطْلُبُ مِنْها أَنْ تُسْعِدَهُ إِنِ اسْتَطاعَتْ، أَوْ عَلى الأَقَلِّ أَنْ تَعِدَهُ بِأَنْ تُسْعِدَهُ وَقْتَ اسْتِطاعَتِها. غَيْرَ أَنَّ لُغَةَ الشّاعِرِ المُنسَجِمَةَ نَصيا كَشَفَتْ قَناعَةَ الشّاعِرِ بِعَدَمِ قُدْرَةِ الحَمامِ أَوْ أَيِّ مَخْلوقٍ عَلى جَلْبِ السَّعادَةِ لَهُ مَهْما بَلَغَ مِنْ قُدُراتٍ، وَبالتّالي حَذَفَ المَفْعولَ بِهِ (الشاعرَ نَفْسَهُ) مُعادِلًا مَوْضوعِيًّا لِقناعَتِهِ بِعَجْزِ الحَمامِ وَعَدَمِ قُدرتِهِ عَلى إِسْعادِهِ؛ فَقابَلَ الحَذْفَ المَعْنَوي بِحَذْفٍ لَفْظي مُكافِئٍ لَهُ في النَّسَقِ النَّصي بِقولِهِ (أَسْعِدْنَ) دونَ مفعولٍ به، في حينِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَقْطَعَ الطَّريقَ عَلى الحَمامِ الذي يَعُدُّهُ رَمْزًا للوفاءِ الروحي وَعُنوانًا لِإِعلاءِ شأنِ الروحِ عَلى الماديات الفانية؛ فأبْقى لَها الأَمَلَ في مُجَرَّدِ وَعْدِهِ عَلى الأَقَلِّ بِإِمْكانيةِ إِسعادِهِ مُسْتَقْبَلًا؛ فَهي لا تَسْتَطيعُ إِسْعادَهُ، لَكِنَّها تَسْتَطيعُ وَعْدَهُ بِإِسْعادِهِ، وَلَيْسَ يَقينًا أَنْ تَفي بِوَعْدِها؛ فأَثْبَتَ المَفْعولَ بِهِ (عِدْنَ قَليلَ العَزاءِ بالإِسْعادِ).

أَما الحَذْفُ العِباري فَوَقَعَ في قَوْلِ المعرّي مُلَخِّصًا فَلسفةَ وُجودِ الإِنسانِ وَمصيرِهِ في هذهِ الحياةِ:

خُلِــقَ النّــاسُ للبَقــاءِ فَضَلَّــتْ أُمَّــــةٌ يَحْسَــــبونَهُمْ للنَّفــــادِ
إِنَّــما يُنْقَلُــونَ مِــنْ دارِ أَعْــما لٍ إِلى دارِ شِــــقْوَةٍ أو رَشَــــادِ (المعرّي 978).

ففي قولِ الشاعرِ: (مِنْ دارِ أعمالٍ) كانَ الأصلُ أنْ يَكونَ المُقابلُ الدلاليُّ المعجميُّ أنْ يَقولَ: إلى دارِ حِسابٍ؛ فهوَ يُشيرُ إِلى حَقيقةٍ دينيَّةٍ مفادُها أنَّ الدنيا دارُ عملٍ بِلا حِسابٍ أُخرويٍّ للإنسانِ، في حينِ أنَّ الآخرةَ دارُ حِسابٍ بِلا عَمَلٍ. غيرَ أنَّ الشاعرَ هنا حَذفَ عبارةً كاملةً هيَ مقدِّمةٌ سببيَّةٌ لِقولِهِ (إلى دارِ شِقوةٍ أو رَشادٍ) فأصلُ الكَلامِ قبلَ الحذفِ: إنَّما يُنقَلونَ من دارِ أعمالٍ إِلى دارِ حِسابٍ مؤدَّاها إلى شِقوةٍ أو رَشادٍ.

غيرَ أنَّ الحَذفَ العِباريَّ هُنا أسهمَ في التَّكثيفِ الدلاليِّ الذي يُريدُهُ الشاعرُ مَغزًى لِنُصحِهِ لِمُتَلَقّيهِ، وَالذي سَوَّغَ

الحذفَ هُنا وُضوحُ دلالةِ المحذوفِ في الكَلامِ؛ فَمعلومٌ أنَّ شَقاءَ الإنسانِ أوْ رَشادَهُ إنَّما يَكونُ نَتيجةً لِحسابِهِ على أعمالِهِ التي قامَ بِها في الحياةِ الدُّنيا؛ فإنْ كانتْ أعمالُهُ صالحةً كانتْ دارُهُ الآخرةُ دارَ رَشادٍ، وإنْ كانتْ أعمالُهُ سيِّئةً كانت دارُهُ الآخرةُ دارَ شِقوةٍ وَتعاسةٍ.

وإلى جانبِ الحذفِ العِباريِّ جاءَ التَّقديمُ والتَّأْخيرُ لِيُكْمِلَ التماسُكَ النصِّيَّ في نسقِ النصِّ؛ فالشاعرُ قَدَّمَ الشِّقوةَ عَلى الرَّشادِ في النتيجةِ، وَهذا يَعكِسُ نظرته السوداويَّةَ للحياةِ وَزينتِها، واستنكارَهُ لبني البشرِ الغارقينَ في المَلَذّاتِ الماديَّةِ الزائِلةِ؛ ومنْ هنا نَظَرَ إلى الآخرةِ وحِسابِها نَظرةَ مَنْ يَرى مَصيرَ هؤلاءِ الماديِّينَ أوَّلًا، قبلَ مَصيرِ الروحانيينَ الذينَ طَهَّروا نُفوسَهُمُ النقيَّةَ عَنِ الغرقِ في درنِ الدنيا وَمَفاسِدها.

الوَسيلَةُ الثانيةُ: الرَّبْطُ بِالأَدَواتِ (الوَصْلُ): يُعَدُّ الوَصْلُ أَوِ الرّبطُ (Junction) مِنْ أَدواتِ الاتِّساقِ السَّبْكيِّ القائِمِ عَلى رَبْطِ الجُمَلِ بَعْضِها بِبَعْضٍ بِأَدَواتٍ تُحَدِّدُ طَبيعَةَ العَلاقَةِ بَيْنَ السّابِقِ واللاحِقِ بِالنَّظَرِ إلى النَّصِّ عَلى أَنَّهُ تَتابُعٌ رَصْفي لِجُمَلٍ أَوْ مُتَتاليات لَفْظيةٍ مُتَعاقِبَةٍ لَفْظيا، وتحقيقُ التماسُكِ بَيْنَ هَذِهِ المُتَعاقِباتِ أَوِ المُتَتاليات ليغْدوَ النَّصُّ وِحْدَةً سَبْكيةً واحِدَةً يَتَطَلَّبُ رَوابطَ مُتَنَوِّعَةِ العلاقات والوَظائِفِ تَصِلُ بَيْنَ أَجْزاءِ النَّصِّ، وَتُحَقِّقُ اللُّحْمَةَ العلاقيةَ بَيْنَ مُكَوِّناتِهِ العِباريةِ؛ وَمِنْ هُنا عُرِّفَ الوَصْلُ نَصيا بِأَنَّهُ:»تَحديدٌ للطَّريقَةِ التي يَتَرابَطُ بِها اللّاحِقُ مَعَ السّابِقِ بِشَكْلٍ مُنَظَّمٍ» (Halliday and Hassan 227)، وَيَكونُ هذا الربطُ في البِنْيَةِ السَّطحيةِ الأُفُقيةِ للنَّصِّ، وَهو يَخْتَلِفُ عَنِ الإحالاتِ السابِقَةِ في أَنَّ الإحالاتِ تَتِمُّ عَبْرَ مُحيلٍ وَمُحالٍ إليهِ هُما في الحَقيقَةِ واحِدٌ، وَتَتِمُّ الإحالَةُ مُباشَرَةً دونَ وَساطَةٍ بَيْنَ المُحيلِ والمُحالِ إلَيْهِ. أَما في الوَصْلِ فَيَتِمُّ الرَّبْطُ بَيْنَ السّابِقِ واللاحِقِ عَبْرَ أَدَواتٍ وَظيفيةٍ تُحَدِّدُ العلاقة بَيْنَ عُنْصُرَي الرَّبْطِ، سَواءً أَكانَتْ علاقةً إِضافيةً مُتَوافِقَةً دَلاليًّا، أَمْ علاقةً عَكْسيةً في إِطارِ المُخالَفَةِ، أَمْ علاقَةً سَبَبيةً، أَمْ عَلاقةً زمانيةً عَلى النَّحوِ الآتي:

أَوَّلًا: أَدواتُ الوَصْلِ الإِضافي (Additive): وَهي أَدواتٌ وَظيفَتُها إِضافَةُ اللاحِقِ إلى السّابِقِ وَرَبْطُهُ بِهِ؛ ليجْتَمِعَ اللاحِقُ مَعَ السابِقِ في اتِّساقٍ دَلالي واحِدٍ جامِعٍ، وَهذا يَخْتَلِفُ عَنِ الإِضافَةِ في المَفْهومِ النَّحْوي العَرَبي؛ ذَلِكَ أَنَّ هذا الرَّبْطَ النَّصي يُفيدُ مُطْلَقَ الجَمْعِ في حُكْمٍ يَشْتَرِكُ فيهِ السّابِقُ واللاحِقُ، أَوِ الرَّبْطَ التَّخييري في إِضافَةِ الحُكْمِ ذاتِهِ إلى السّابِقِ أَوِ اللاحِقِ، بِخِلافِ العلاقَةِ الإِسْناديةِ للإِضافَةِ النَّحْويةِ في العَرَبيةِ؛ فالوَصْلُ الإِضافي إِذًا يَشْتَمِلُ عَلى طَريقَتَيْنِ للوَصْلِ:

1. وَصْلٍ يُفيدُ مُطلقَ الجَمْعِ، وَيُمَثِّلُهُ في العَرَبيةِ حَرْفُ الواوِ العاطفةِ، كما تُمَثِّلُهُ التَّعْبيراتُ التي تُفيدُ التَّماثُلَ الدَّلالي ككلمة (بالمثل)، وتعبيرات تفيد علاقَةَ الشرحِ كالكلمات (أَعني)، و(بتعبيرٍ آخرَ)، وتعبيراتٌ تُفيدُ التَّمثيلَ كالكلماتِ (نَحْوَ)، و(مثلَ) وما يُماثِلُها (الخطابي 23).

وَقدْ وردَ هذا الوَصلُ عندَ المعرّي في أَوَّلِ بيتَينِ مِنْ مطلعِ قَصيدتِهِ بِشكلٍ لافِتٍ باستخدامِ أداتَيْنِ من أدواتِ الوصلِ مُطلَقِ الجمعِ، الأولى باستخدامِ واوِ العطفِ التي تُفيدُ مُطلقَ الجمعِ، والثانيةُ باستخدامِ كلِمةِ (شبيهٌ)؛ جاءَ ذلكَ في أثناءِ حَديثِهِ عَنِ انتفاءِ الجدوى الحقيقيَّةِ مِنَ الشُّعورِ بالفرحِ أَوِ الشعورِ بالحُزنِ في دُنيا مَصيرُها وَمصيرُ مَا

نشعرُ بِهِ فيها إلى زَوالٍ؛ يَقولُ في مطلعِ القصيدةِ:

غَـيْرُ مُجْـدٍ في مِلَّتـي واعْتِقـادي نَـوْحُ بـاكٍ وَلا تَرَنُّـمُ شـادِ
وَشَـبيهٌ صَـوتُ النَّعِـيِّ إِذا قيـ ـسَ بِصـوتِ البَشـيرِ في كُلِّ نـادِ (المعرّي 971).

فقدْ ربطَ المعرّي بحرفِ العَطْفِ الواوِ بَيْنَ نواحِ المَفْجوعِ وَسُرورِ المَسْرورِ في انْتِفاءِ الجدوى المَرْجوةِ مِنْ كِلا الشُّعوريْنِ، وهذا الرَّبْطُ في مَعْنى مُطْلَقِ الجَمْعِ يأتي في غايَةِ الانْسِجامِ والاتِّساقِ النَّصي الذي يَبْنيهِ المعرّي حَوْلَ فِكْرَتِهِ الأَساسِ التي يُريدُ تَثْبيتَها مُنْذُ مَطْلَعِ القَصيدَةِ.

وليجعلَ الكلامَ أكثرَ اتِّساقًا وتماسُكًا فقدْ دَعَمَ أداةَ الوصلِ الحرفيَّة (الواو) بأداةِ وصلٍ اسميَّةٍ تُفيدُ مطلقَ الجمعِ كَذلكَ (شَبيهٌ)، ولا يَخفى الانسِجامُ التّامُّ الذي أحدَثَتْهُ الأداتانِ مِنَ انسِجامٍ بينَ معنى البيتينِ والفِكرةِ الواحدةِ التي تجمعهما (عدم جدوى الاكتراث بالحياةِ ومشاعِرِها)؛ فَتشابُهُ صوتِ النعيِّ مَعَ صوتِ البَشيرِ في البيتِ الثاني جاءَ نتيجةً منطقيَّةً للحُكمِ الذي أطلقه الشاعرُ في البيتِ الأوَّلِ مِنْ عَدَمِ نواحِ الباكي أو ترنُّمِ الشّادِي ما داما كِلاهُما إلى زوالٍ، وما دامَ الفرحُ المترتِّبُ على صوتِ البَشيرِ يَشتركُ مَعَ الحزنِ المترتِّبِ على صوتِ النعيِّ في أنَّ كِلا الشُّعورينِ عديما الفائدةِ في الحياةِ الدنيا.

2. وصلٍ يُفيدُ التخييرَ بَيْنَ السابقِ واللاحقِ في إِضافَةِ الحُكْمِ لِأَحَدِهِما، وَتُمَثِّلُهُ في العربيَّةِ (أَوْ، إِمّا، أَمْ)، والفَرْقُ بَيْنَ مُطلَقِ الجَمْعِ والتَّخييرِ في الوصلِ الإِضافيِّ أَنَّ الصِّدْقَ في مُطْلَقِ الجَمْعِ يَشْمَلُ جميعَ مُحتوياتِ الجَمْعِ المُطلَقِ في عالَمِ النَّصِّ، أَما في حالَةِ التَّخْييرِ فإنَّ الصِّدْقَ لا يَتَّصِفُ بِهِ إِلّا مُحتَوًى واحِدٌ مِنَ المُحتوياتِ التي تَجْمَعُها أَداةُ الوَصْلِ (دي بوجراند 35).

وَتَمَثَّلَ الوَصْلُ بِالتَّخْييرِ في قَوْلِ المعرّي مُحَدِّدًا اتِّخاذَ مَصيرِ الإِنْسانِ - بِحَسَبِ أَعْمالِ في الدُّنيا - طَريقَيْنِ:

إِنَّـما يُنْقَلـونَ مِـنْ دارِ أَعْـما لٍ إِلى دارِ شِـقْوَةٍ أَوْ رَشـادِ (المعرّي 979).

وَهذا تَخْييرٌ نُصْحي إِرْشادي يوجِّهُهُ الشّاعِرُ لِمُتَلَقّيهِ موضِّحا أَنَّ مَصيرَ الناسِ في الدّارِ الآخِرَةِ لَيْسَ واحِدًا كَما كانَ مُسْتَقَرُّهُم واحِدًا في الحَياةِ الدُّنيا.

وليسَ المقصودُ بالتَّخييرِ هنا أنَّ الإِنسانَ في الآخرةِ يَختارُ مَصيرَهُ الذي يتمناهُ، بَلِ المَقصودُ بالتخييرِ عندَ الشّاعرِ أنَّ الإِنسانَ بِأَعمالِهِ الدنيويَّةِ لَهُ الخَيارُ في رَسمِ صورةِ مستقرِّهِ الأُخرويِّ؛ فإِمّا أنْ يَقومَ بالأعمالِ الصّالحةِ؛ فَيَكونُ مَصيرُهُ دارَ الرّشادِ (الجنّة)، وإِمَّا أنْ يَقترفَ الموبقاتِ والأعمالَ السيئةَ؛ فَيَكونُ مَصيرُهُ دارَ الشقاءِ (جهنَم)، وَهُوَ مخيَّرٌ إلى أيِّ المصيرينِ يوصِلُ نفسَهُ.

ثانيًا: الإضرابُ، أوِ الوَصْلُ العَكسيُّ (Adversative): وَيُفيدُ أَنَّ اللّاحِقَ مُخالِفٌ للمَذْكورِ سابِقًا في المَضْمونِ، وَمُناقِضٌ لَهُ في الحُكْمِ المَذْكورِ سابِقًا، وَتُمَثِّلُهُ في العَرَبيةِ كَلِمَةُ (لكن) للاستدراك، وكلماتٌ مثل: خلاف ذلك، على العكس، في المقابل، غَير أن، بيد أن، أمّا، إلّا أن، لا العاطفة، لَمْ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الوَصْلِ العَكْسي قَوْلُ المعرّي راثيا أَبا حَمْزَةَ الفَقيهَ الذي أَرادَ المعرّي نَعْيَهُ في هذِهِ القَصيدَةِ فَنَعى البَشَريةَ جمعاءَ، بَلْ رَثى الحَياةَ بِرُمَّتِها. يَقولُ مادِحًا فِقْهَ أَبي حَمزَةَ:

وَفَقيهًــا أَفْــكارُهُ شِــدْنَ للنُّعْــ ـــمانِ مــا لَمْ يَشِــدْهُ شِــعْرُ زيــادِ (المعرّي 986).

فالمعرّي قابَلَ بَيْنَ جُمْلَتينِ كُلٌّ منهُما جاءَت مُضادَّةً مُعاكِسَةً للأُخْرى في الدَّلالَةِ والحُكْمِ، وتتمَثَّلانِ في الآتي: ما أَسَّسَهُ أبو حنيفَةَ النُّعمانُ مِنْ قَضاءِ عُمُرِهِ في تَفْقيهِ النّاسِ بِشَرْعِ الله وَفِقْهِهِ، وَهو ما سَيُثابُ عَلَيْهِ وَيُؤْجَرُ في الآخرةِ، وَيُعاكِسُ هذا وَيُقابِلُهُ ما أَسَّسَهُ النّعمانُ بنُ المُنْذِرِ مِنْ أُبَّهَةِ الحُكْمِ وَالسُّلْطانِ الدُّنيوي الذي اسْتَدْعى مَدائِحَ الشُّعراءِ طَمَعًا في عَطاءِ الحاكِمِ، وَهو المَدْحُ الذي لا يُثابُ عَلَيْهِ الحاكِمُ في الآخرةِ.

ثالِثًا: الوَصْلُ السَّبَبي (Casual): وَهو الوَصْلُ بِأَداةٍ غَرَضُها الرَّبْطُ المَنْطِقي بَيْنَ السّابِقِ واللاحِقِ، وَيَسْعى إِلى إِيضاحِ العَلاقَةِ السَّبَبيةِ بَيْنَهُما مِنْ خِلالِ ثُنائِيَّةِ السَّبَبِ والنَّتيجَةِ، وَتُمَثِّلُهُ في العربيَّةِ كَلِماتٌ مثلُ: (لِأَنَّ، لام التعليل، فاء السببية، كَيْ، أَدوات الشرط، بسبب)؛ وَبِسَبَبِ ارْتِباطِ اللاحِقِ بالسابِقِ ارتِباطًا وَثيقًا يُطلِقُ بَعْضُ الباحثينَ النَّصيينَ عَلى هذا النوعِ من الوصلِ (الإِتْباعَ)، وَبَعْضُهم يُطْلِقُ عليهِ (التَّفريعَ). (أبو غزالة وحمد 101).

وَقَدْ وَرَدَ الوَصْلُ السَّبَبيُّ بِالفاءِ السَّبَبيةِ في حَديثِ المعرّي عَنِ قِصَّةِ النَّبيِّ سُليمانَ - عليهِ السلامُ - مَعَ الجيادِ بِقَوْلِهِ:

مِثْلَــما فاتَــتِ الصَّــلاةُ سُــليما نَ فانْحــى عَــلى رِقــابِ العِبــادِ (المعرّي 991).

وَهُنا يَتَحَدَّثُ الشّاعِرُ عَنْ فَوْتِ صَلاةِ العَصْرِ عَلى سَيِّدِنا سُلَيْمانَ بِسَبَبِ انْشِغالِهِ بِاسْتِعراضِ الخَيْلِ بِقَوْلِهِ: (فاتَتِ الصّلاةُ سُليمانَ)؛ فأَتْبَعَ هَذِهِ الجُمْلَةَ السَّبَبيةَ بِجُمْلَةٍ أُخْرى كانَتْ نَتيجَةً لِجُمْلَةِ السَّبَبِ؛ فَكانَتِ النَّتيجَةُ جُمْلَةَ: (فأَنْحى عَلى رِقابِ الجيادِ) أَيْ: نَحَرَ الجيادَ بِسَبَبِ إِشغالِها لَهُ عَنْ أَداءِ الصّلاةِ في وَقْتِها، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ الشّاعِرُ فاءَ السَّبَبِيَّةَ للربطِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ.

رابِعًا: الوَصْلُ الزَّمنيُّ (temporal): يُعَرَّفُ الوَصْلُ الزَّمَني عَلى أَنَّهُ: «عَلاقَةٌ بَيْنَ أُطروحَتَيْ جُمْلَتَيْنِ مُتَتابِعَتَيْنِ زَمَنيًا» (Halliday and Hassan 227)، وَيَعْني أَنْ تُتبَعَ الجُمْلَةُ بِجُمْلَةٍ أُخْرى؛ فَترتبطُ الجُملتانِ بِعلاقةِ الزَّمنِ الذي تَنْدَرِجانِ فيه في إِطارٍ واحدٍ، كَقَولِكَ: لقدْ أَحبَبْتُ العَرَبيةَ مُنذُ كنتُ صَغيرًا. فالجُملَتانِ: أحببتُ العربيَّةَ، وكنتُ صَغيرًا، مرتبطتانِ ببَعْضِهِما بِعلاقةٍ زَمَنيةٍ جَسَّدَتْها أَداةُ الرَّبْطِ الزمنيِّ (مُنْذُ)، كما يُمْكِنُ الرَّبْطُ زمنيًّا بِأَدواتِ ربطٍ مثلِ: (الفاءِ، وثمَّ، وقَبْلَ، وَبعدَ، وحينَ، وَلَمَا، وكلَّما، وبينما، ووقتَ، وساعَةَ، ولحظةَ، وعندما...).

وَمِنْ بَديعِ الرَّبْطِ الزَّمنيِّ في داليَّةِ المعرّي ذلكَ الربطُ الذي أَحدَثَهُ أبو العلاءِ؛ فأوجَدَ فيهِ رابِطًا يُفْضي إِلى مَعْنى الوَفاءِ مِنْ خِلالِ التَّوافُقِ الزَّمنيِّ؛ عندما تحدَّثَ عَنْ أبي حَمْزَةَ الفَقيهِ الذي ماتَ شابًّا لَمْ يَهْرَمْ بَعْدُ، يَقولُ:

كُنْــتَ خِــدْنَ الصِّبــا فَلَــمّا أَرادَ الــ ـــبَيْنَ وافَقْــتَ رَأْيَــهُ في المُــرادِ
وَرأَيْــتَ الوَفــاءَ للصّاحِــبِ الأَ ولِ مِــنْ شــيمَةِ الكَريــمِ الجَــوادِ (المعرّي 998).

وَقَدْ تمَّ الربطُ الزَّمَنِيُّ بينَ الجُمْلَتَيْنِ (أرادَ الصِّبا البينَ) و(وافَقْتَ رأيَهُ في المُرادِ)،، وَقَدْ ربطَ بينهما الشاعر بِالأَداةِ (فَلَما).

الوَسيلَةُ الثّالِثَةُ: التحديد (Definiteness)

يَرى بعضُ النَّصّيّينَ أَنَّ التَّحديدَ مِنْ وَسائِلِ السَّبْكِ النَّحْوِيةِ، وَيَرى النَّصيونَ أَنَّ التَّحْديدَ النَّصي يَتَمَثَّلُ في مَفْهومِ التَّعريفِ والتَّنْكيرِ، وَهذا ما ذهبَ إليهِ (دي بوجراند) بِتعريفِ التحديدِ عَلى أَنَّهُ: وَضْعٌ للعَناصِرِ الدّاخِلَةِ في عالَمِ النَّصِّ؛ فَتَضْطَلِعُ العَناصِرُ المُعَرَّفَةُ بِوَظيفَةٍ لا تَحْتَمِلُ الجَدَلَ في سياقِ المَوْقِفِ الذي تَرِدُ فيهِ؛ فَيَكونُ المُحتوى المَفْهوميُّ المَضْبوطُ (المَعْرفةُ) سَهْلَ الاسْتِحضارِ عَلى أَساسِ المِساحاتِ المَعْلوميَّةِ المُنَشَّطَةِ بِالفِعْلِ؛ أَيْ أَنَّ وُرودَ المعرِفَةِ في النَّصِّ لا يَحتاجُ منَ المتلقّي تَنشيطًا ذِهنيا لِتحديدِ مَفْهومِ المَعرفَةِ وَمَوضِعِها في النَّصِّ، وَبالتّالي تكونُ المَعْرِفَةُ مُشيرَةً إِلى ما سَبَقَ ذِكْرُهُ أَوْ ما سَبَقَ للمُتَلَقّي إِدراكُهُ في عالَمِ المَعارِفِ اللُّغَويةِ المَعهودَةِ لَفْظًا وَدَلالَةً في عالَمِهِ اللغوي العامِّ. أَما النَّكِراتُ في النَّصِّ فإنَّها تُشيرُ إِلى ما لَمْ يَرِدْ ذِكرُهُ بَعْدُ، وَما لَمْ يَتِمَّ تَحديدُهُ أَوِ اسْتِحضارُ مَفْهومِهِ المُحَدَّدِ، وَبالتّالي إِدراكُ مَوضِعِهِ وَموقِفِهِ في البِناءِ النَّصي بِناءً عَلى ما سَبَقَ ذِكْرُهُ؛ وَعَلَيْهِ فإنَّ النَّكِراتِ تُشيرُ إِلى ما لَمْ يَتِمَّ ذِكْرُهُ بَعْدُ، ولا يَكْتَمِلُ فَهْمُها وَتَحْديدُها إِلّا بِتتبُّعِ ما يُعَرِّفُها وَيُجَلّي مَفْهومَها في اللاحِقِ لَها مِنْ مَعلوماتِ النَّصِّ، ومنْ هُنا كانَتِ النَّكِراتُ مَدْعاةً لِتَنْشيطٍ أَعلى لِذهنِ المُتلقّي بِوَصْفِها تَعليماتٍ لِتَنْشيطِ مِساحاتٍ جَديدَةٍ؛ كَونَ هذِهِ النَّكِراتِ غَيرَ مَعْلومَةٍ للمتلقّي مِنْ قَبْلُ. (دي بوجراند 310)

وَعَلَيْهِ فإنَّ ظاهرةَ التَّعريفِ والتَّنْكيرِ تَعْتَمِدُ عَلى ما هو مَرْكوزٌ في أَذهانِ المُتَلَقينَ مِنَ المَعلومِ والمَجهولِ؛ وَعليهِ يَكادُ يَكونُ هَذا العُنْصُرُ اللغويُّ النَّصي واحِدًا في جَميعِ اللُّغاتِ، وإِنِ اخْتلفتْ أَدواتُ التَّعريفِ بَيْنَها. (نحلة 11)

وَلَقَدْ كانَ للتحديدِ أَثَرٌ بارِزٌ في التَّماسُكِ النَّصي في قَصيدَةِ (غَيْرُ مُجدٍ)؛ فالمعرّي وَظَّفَ التَّعريفَ والتنكيرَ توظيفًا بارِعًا خَدَمَ الرِّسالَةَ العامَّةَ التي سَعى أبو العلاءِ إِلى إِيصالِها لِمُتَلَقّيهِ، كَما أَسْهَمَ في حالَةِ الانسِجامِ والاتِّساقِ السَّبْكيِّ في القَصيدَةِ بِما يَتَضافَرُ مَعَ عَناصِرِ السَّبْكِ اللُّغَويةِ الأُخَرِ. وَقَدْ هَدَفَ مِنَ التَّنكيرِ في مطلعِ قَصيدتِهِ إِلى تَعميمِ الحُكْمِ في إِطارِ الفَلْسَفَةِ العامَّةِ التي يُريدُ الشاعرُ إِيصالَها للمُتَلَقّي؛ هذا التَّعميمُ الذي يَراهُ الشّاعِرُ مُنسحبًا عَلى ماهيةِ الوجودِ البشريِّ، وَعَلى حَقيقَةِ الحَياةِ بِحُلوِها ومُرِّها، ثُمَّ عَلى موقِفِ الشّاعِرِ مِنْ هذا الوُجودِ وتلكَ الحَقيقَةِ، حَقيقَةِ الوُجودِ وَمعنى الحَياةِ، هذِهِ النَّظْرَةُ الشُّموليةُ القائِمَةُ عَلى شُعورِ الشّاعِرِ بِسَطوَةِ الفَناءِ وَحَتْميتِهِ عَلى الحَياةِ والبَشَريةِ جَمْعاءَ، وَعَدَمِ جَدْوى الاكتِراثِ بِمُتَعَلِّقاتِ الحَياةِ مُفْرِحِها وَمُحْزِنِها.

إِنَّها نَظْرَةٌ تَتَجاوزُ المَواقِفَ المُحَدَّدَةَ والأَشخاصَ المُعَيَّنينَ إِلى ما يُشبِهُ التَّقنينَ العامَّ الذي لا يَصْلُحُ معهُ نَمَطُ التَّعريفِ والتَّحديدِ اللغوي لِما هو مألوف مَعلومٌ قَبْلًا؛ فَمَفهومُ الوُجودِ وَموقفُ الشّاعِرِ منهُ يَعُمُّ جَميعَ الخلقِ بِلا تحديدٍ، وَيشملُ الحَياةَ عَبرَ مُخْتَلَفِ الأزمانِ؛ فَيأتي التنكيرُ خادِمًا للنَّسيجِ العامِّ الذي تُسبَكُ فيهِ الفِكْرَةُ النصيةُ بِمُكَوِّناتِها السَّبْكيَّةِ، ويَتَّضِحُ هذا التَّوجيهُ بالنَّظرِ إِلى حديثِ المعرّي عنِ القَبْرِ مُنَكَّرًا طَورًا، وَمُعَرَّفًا طورًا آخَرَ في تَوافُقٍ سَبْكي

دَلالي يَخْدِمُ المَوقِفَ النَّصي الذي جاءَ فيهِ كُلُّ نَمَطٍ تحديديٍّ؛ ففي إِطارِ تنكيرِ القَبْرِ يَقولُ:

رُبَّ لَحْـدٍ قَـدْ صـارَ لحـدًا مِـرارًا ضاحِـكٍ مِـنْ تَزاحُـمِ الأَضْـدادِ

وَدَفيـنٍ عَـلى بَقايـا دَفيـنٍ في طَويـلِ الأَزمـانِ والآبـادِ (المعرّي 976).

فَلا داعي للشّاعِرِ أَنْ يُعرِّفَ القَبْرَ هُنا أَوْ أَنْ يُحدّدَهُ؛ فَهو لا يَتَحَدَّثُ عَنْ قَبْرِ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ سَبَقَ ذِكرُهُ أَوْ عِلْمُهُ، بلْ يَتحدَّثُ عَنْ ماهيةِ القَبْرِ وَكَينونَتِهِ وَدَلالَتِهِ وجودِهِ، فَهوَ أَيُّ قبرٍ لِأَيِّ ميِّتٍ كانَ، وهو مصيرٌ مُشتَرَكٌ لكلِّ النّاسِ عَلى اختلافِ أحوالِهِمْ وَصِفاتِهِمْ وأشكالِهِمْ، وعلى اختِلافِ مِقدارِ سَعادتِهِمْ أَوْ تَعسِهِم قَبْل الموتِ، وَمدى فقرِهِمْ أَو غِناهُمْ، وَدَرَجَةِ عَدْلِهِمْ أَو ظُلْمِهِمْ.

والمَفْهومُ الذي يُريده الشّاعِرُ للقبرِ في هَذهِ المُفارَقَةِ السّاخِرَةِ (ضاحِكٍ مِنْ تَزاحُمِ الأَضّدادِ) يَستَوجِبُ بِوجهٍ قَطْعي كَونَهُ نَكِرَةً لِسَبَبِ سياقي وَجيهٍ: وَهو أَنَّ هذا القَبْرَ الموغِلَ في القِدَمِ - بِمَفهومِهِ الاحتِوائِيِّ للأمواتِ - قَدْ يَتعاقَبُ عَلى المُقامِ فيهِ غَيْرُ مَيِّتٍ عَبْرَ الأَزْمِنَةِ المُتلاحقةِ؛ فَهذا القَبرُ إِذًا لَمْ يَعُدْ مُحَدَّدًا مَحصورًا بِمَيِّتٍ بِعَيْنِهِ، بَل أَصبحَ عامًّا مَشاعًا يَحوي كَثيرًا منَ الأَمواتِ في رِحلةِ النِّهاياتِ المحتومةِ لبني البشرِ، وَهذهِ المَشاعيةُ التي قَصَدَ الشّاعِرُ إِعلامَ المُتلقّي بِها هَدَفٌ عَميقٌ لَهُ؛ يَسعى مِنْ وَرائِهِ إِلى تحقيقِ السّخريةِ مِنْ بَني البَشَرِ الذينَ يَغفَلونَ عَنْ هذا المَصيرِ المَحتومِ بالموتِ والفَناءِ، فَيُفنونَ عُمُرَهُمْ جَريًا وَراءَ دُنيًا زائِلَةٍ مَصيرُها وَمصيرُ أَحيائِها المؤقّتينَ الفَناءُ؛ فقدْ جَسَّدَ الشّاعِرُ القَبْرَ شَخصًا يُراقِبُ ساكِنيهِ المُتزاحِمينَ عَلى المُقامِ فيهِ عَبْرَ الأزمِنَةِ المُتَباعِدَةِ، ساخِرًا مِنَ اختِلافِهِمْ وَتَضادِّهِمْ. وَبِتنكيرِ القَبْرِ (لَحْدٍ) وَعَدَمِ حَصْرِهِ بِشَخْصٍ بِعَيْنِهِ، وَبِجَعْلِهِ مِشاعًا عامًّا استطاعَ الشّاعِرُ التّلاعُبَ بِعَقارِبِ الزَّمنِ؛ فَقامَ بِتسريعِ شَريطِ الأَحداثِ المُتمثّلِ في دَفْنِ الأَمواتِ الذينَ يَبْلى أَحَدُهُمْ عبرَ الأَزمانِ الطَّويلَةِ، ثمَّ يُدفَنُ في المَكانِ نَفْسِهِ مَيِّتٌ آخَرُ دونَ قَصد، وَهذا الآخَرُ بِدورِهِ يَفْنى جَسَدُهُ وَيَبْلى وَيَزولُ أَثَرُهُ بَعْدَ زَمَنٍ طَويلٍ وهكذا؛ فَهَدَفَ الشّاعِرُ مِنْ تَسريعِ الزَّمنِ إِلى أَنْ يُعطيَ دَرْسًا للمتلقّي بِأَنَّ مَصيرَهُ سَيكونُ حَلْقَةً عابِرَةً في سِلْسِلَةِ حَلَقاتِ الفَناءِ التي يَحبِكُها المَوتُ.

وَفي مُقابِلِ هذا التنكيرِ يُمَثِّلُ تَعريفُ القَبْرِ في مَوْضِعٍ آخَرَ حاجَةً قَصْديةً مُلِحَّةً في البِناءِ النَّصي الدَّلالي الكامِلِ للقَصيدةِ، وَضَرورَةً لازِمَةً في نَسيجِ الفِكْرَةِ التي يَسعى الشّاعِرُ إِلى طَرحِها بُغْيَةَ تَكوينِ تَصَوُّرٍ شامِلٍ لِمَضْمونِ النَّصِّ، وَتَظْهَرُ مَقْصِديَّةُ التَّعريفِ وأَهَميتُهُ في قَوْلِ الشّاعِرِ:

صـاحِ هـذي قُبورُنـا تَمـلا الرُّحْـ ـبَ فايْـنَ القُبـورُ مِـنْ عَهْـدِ عـادِ (المعرّي 974).

فَمِنْ خِلالِ تعريفِ القُبورِ في هذا البيتِ وَحَصْرِها في أُناسٍ مُعَيَّنينَ وأقوامٍ مُعَيَّنينَ أَرادَ الشّاعِرُ منَ المتلقي أَنْ يُجريَ مُقارَنَةً بَيْنَ القُبورِ التي يَراها المُتَلَقّي في زَمانِهِ لِأَهْلِ بَلَدِهِ مِنْ أَقربائِهِ وأصحابِهِ وَمعارِفِهِ، والقُبورِ التي سَمِعَ عَنْ أَقوامِها مِنَ الأَزمِنَةِ الغابِرَةِ كَعادٍ وَغَيْرِها، ثمَّ يَدْفَعُ الشاعرُ المُتَلَقّيَ إِلى التَّساؤلِ الآتي: هل بَقي مِنْ آثارِ هذِهِ القُبورِ وَساكِنيها من زمنِ عادٍ مَعْلَمٌ أَوْ شاهِدٌ؟ والجَوابُ المنطقيُّ: لا؛ لِأَنَّ هذهِ القبورَ وَساكِنيها اعتراها الفَناءُ والزَّوالُ. وَهذا سَيكونُ مَصيرَ القُبورِ الحاليَّةِ الماثِلَةِ أَمامَ المتلقّي، والتي سَتكونُ مَصيرَ المتلقي في نِهايَةِ المَطافِ.

الخاتمة

خَلَصَ البحثُ إلى مجموعة من النتائجِ والتَّوصياتِ الآتيةِ:

أولًا: تُمَثِّلُ وَسائِلُ السَّبْكِ النَّحويَّةُ عُنصرًا مهمًّا في إيجادِ التَّماسُكِ النصِّيِّ بِما يَتناسبُ مَعَ النسقِ الدلاليِّ العامِّ الذي ينتَظمُ النصَّ بِكُلِّيَّتِهِ.

ثانيًا: إنَّ المنهجَ النصيَّ الناجعَ هو المنهجُ الذي يَجمعُ بينَ العناصرِ اللغويَّةِ المتآلفةِ المترابطةِ في تكوينِ النصِّ، والمنطَلقاتِ الدّلاليَّةِ التي انطلقَ منها منشئُ النَّصِّ في سَعيِهِ إلى إيصالِ رسالتِهِ الإنسانيَّةِ للمتلقّي؛ وبالتّالي فقد كشفَ البَحثُ هذا التَّعالُقَ الاتِّساقيَّ الكبيرَ بينَ المكوِّناتِ اللغويّةِ اللفظيّةِ، والمَضامينِ الإعلاميَّةِ على نحوٍ مَكَّنَ مِنْ كِفايةِ النَّصِّ وقدرةِ منشئِهِ على التَّأْثيرِ في المتلقي.

ثالثًا: لقد مثَّلتْ وسائِلُ السّبكِ النحويَّةُ في قَصيدةِ (غَيرُ مجدٍ) للمعريِّ عناصرَ مهمَّةٍ في البِناءِالنصّيِّ النحويِّ للقصيدةِ بشكلٍ عامٍّ، وَلقدْ أسهمت براعةُ المعرّي الشّعريّةُ، وثقافتُهُ اللغويّةُ البارعةُ، إلى جانبِ تكوينِهِ الفكريِّ والفلسفيِّ العميقِ في إيجادِ انسجامٍ نصّيٍّ تامٍّ، جمعَ بينَ التآلُفِ اللفظيِّ التركيبيِّ، والمَرامي الدَّلاليّةِ التي هَدَفَ الشاعرُ إلى إيصالِها للمتلقّي، ولقد كانتْ هذهِ القصيدةُ مثالًا ناجحًا للنصوصِ ذاتِ الأبعادِ الفكريّةِ الإنسانيّةِ العميقةِ التي يَكونُ النصُّ بملامحِهِ البِنائيّةِ النحويّةِ أداةً فعّالَةً في تَثبيتِ هذِ الأبعادِ الفكريّةِ الإنسانيَّةِ بِشَكلٍ إعلاميٍّ ناجحٍ.

رابعًا: لقدْ كشفتِ الدراسةُ النصيّةُ لِوسائِلِ السبكِ النحويّةِ عن مكنوناتٍ أدائيّةٍ عندَ المعرّي لم يكُنْ بالإمكانِ الكشفُ عنها بالدّراساتِ التَّقليديّةِ؛ كالتوافُقِ بينَ سَبكِ الكلامِ لفظيًّا، ومَكنونِهِ الدّلاليِّ المتجذِّرِ في لاوعيِ أبي العَلاءِ، وهذا يُعَدُّ أُسَّ الدراساتِ النصيَّةِ الهادِفةِ إلى إضاءَةِ جوانبَ لمْ تَكُنْ ممكنَةً بِغيرِ الأدواتِ النصيَّةِ في مفهومِ نحوِ النصِّ.

خامسًا: هُناكَ جوانبُ نصِّيَّةٌ عديدةٌ في القَصيدةِ خُصوصًا، وفي شعرِ المعرّي عمومًا لَمْ يَكُن هناكَ مجالٌ لِيَشْمَلَها النصُّ مِن معاييرِ النصيَّةِ، ويمكنُ للباحثينَ الإبحارُ فيها وَتمثُّلُها في دراساتٍ أُخرَ.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. **المحكم والمحيط الأعظم**. دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. دار صادر، بيروت، 1993.
- أبو المكارم، علي. **الحذف والتقدير في النحو العربي**. دار غريب، القاهرة، 2008.
- أبو غزالة، إلهام. وحمد، علي. **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجدراند وولفجالج دريسلر**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.
- بحيري، سعيد. **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**. الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1997.
- الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**. دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- الخطابي، محمد. **لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب**. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.
- الدميري، محمد بن موسى. **حياة الحيوان الكبرى**. دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- الزبيدي، محمد بن محمد. **تاج العروس**. مطبعة حكومة الكويت، 1979.
- عبد العال، محمد أشرف. **معايير النصية** – رسالة ماجستير. كلية دار العلوم، القاهرة، 2003.
- عفيفي، أحمد. نحو النص: **اتجاه جديد في الدرس النحوي**. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
- مرتاض، عبد الملك. **نظرية النص الأدبي**. ط2، دار هومة، الجزائر، 2010م.
- مصلوح، سعيد. «من نحو الجملة إلى نحو النص». **الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية: عبد السلام هارون معلمًا ومؤلفًا ومحققًا**، جامعة الكويت، الكويت، 1990.
- المعرّي، أبو العلاء. **شرح التنوير على سقط الزند**. المطبعة الإعلامية، القاهرة، 1886.
- المعرّي، أبو العلاء. **شروح سقط الزند**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.
- نَحلة، محمود. **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل**. دار التوني، الإسكندرية، 1997.
- دي بوجراند، روبرت. **النص والخطاب والإجراء**. ترجمة: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
- هاينه، فولفانج. وديتر فهفنجر. **مدخل إلى علم اللغة النصي**. ترجمة فالح العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999.
- واورزنياك، زيتسيسلاف. **مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص**. ترجمة سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار، القاهرة، 2003.
- عفيفي، أحمد. «الإحالة في نحو النص: دراسة في الدلالة والوظيفة». بحث في كتاب **المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية بدار العلوم**، جامعة القاهرة، 2005.
- النجار، نادية. «علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: الخطابة النبوية أنموذجًا». **مجلة علوم اللغة**. م. 9، ع. 2، دار غريب، القاهرة، 2006.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Halliday, M.A.K., and Rukayya Hassan. Cohesion In English. Longman Group, 1976.